البابا شنوده الثالث

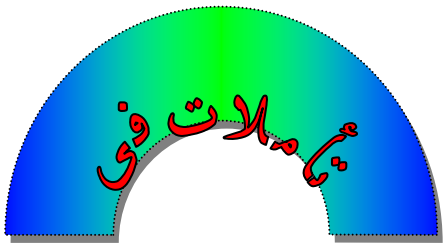

مزامير وقطع النوم

Contemplations on The 12th Hour Prayer

By H.H. Pope Shenouda III

الطبعة الأولى
يوليو ٢٠٠١
القاهرة

Ist. Print
July 2001
Cairo

الكتاب : تأملات فى مزامير وقطع النوم

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية – القاهرة

الطبعة : الأولى يوليو ٢٠٠١

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست – العباسية – القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠١/٩٩٨٩

مقدمة الكتاب

وضعت لنا الكنيسة المقدسة " الصلوات السبع " لمنفعتنا جميعا ، لتكون صلة بيننا و بين الله طوال ساعات النهار ٠

ولكننا نلاحظ عمليا أن غالبية المؤمنين يهتمون بالأكثر ، بصلاة الغروب و النوم فى آخر اليوم ، وبصلاة باكر فى أول النهار ٠

ولهذا كان أول ما أصدرته لكم فى هذا المجال " تأملات فى مزامير الغروب " ثم " تأملات فى مزامير باكر " ٠٠ مع تأملات فى مزامير باكر " ٠٠ مع تأملات فى مزامير منفردة مثل مزمور " يا رب لماذا ؟ " من مزامير باكر و مزمور " يستجيب لك الرب " من مزامير الثالثة ٠٠ و بقيت التأملات فى صلاة النوم ، على الرغم من الإعلان عنها ٠

حقا ، لقد تأخر هذا الكتاب فى الوصول إليك أيها القارئ العزيز و لكن نشكر الله إنه وصل أخيراً ٠

إنه يشمل تأملات فى بعض مزامير النوم ، وهى ٠٠

١-من الأعماق صرخت إليك يا رب ٠

٢-ها باركوا الرب يا عبيد الرب ٠

٣-سبحى الرب يا أورشليم ٠
ثم بعد ذلك قطع صلاة النوم و منها : هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل ٠٠
توبى يا نفسى ما دمت فى الأرض ساكنة ٠٠ أنهضى من رقاد الكسل ٠٠ أيتها العذراء الطاهرة ٠
نضع كل هذا بين يديك ، ونرجو الله أن يقبل صلواتك وصلواتنا ٠٠

البابا شنوده الثالث

من الأعماق صرخت إليك يا رب مز ١٢٩ (١٣٠)

من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب اساتمع إلى صوتى ،
لتكن اذناك مصغيتين إلى صوت تضرعى ٠
أن كنت للآثام راصداً يا رب ، يارب من يثبت لأن من عندك
المغفرة ٠
إنتظرت نفسى الرب اكثر من المراقبين الصبح اكثر من المراقبين
الصبح فلينتظر اسرائيل الرب ٠

بمناسبة الصوم الكبير الذى هو فترة مقدسة تليق بالتوبة ، نود أن .نتأمل معاً فى هذا المزمور الذى هو أحد مزامير التوبة المعروفة ٠

ويقول المرتل : من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب استمع صوتى ٠ لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرعى ٠٠ " ٠

من الأعماق :

هذا المزمور ليس صلاة عادية ، بل صرخة خارجية من الأعماق إذ يقول " من الأعماق صرخت إليك يا رب " ٠٠

فأى أعماق هى

من عمق القلب ، من عمق الفكر ، من عمق المشاعر و الأحاسيس ، صرخت إليك ٠ صرخت إليك ، من عمق احتياجى إليك ٠ من عمق ضعفى و تعبى ٠ من عمق السقوط الذى أنحدرت إليه ، واحتاج فيه إلى مغفرتك ٠ من عمق الخطية صرخت إليك ، ومن عمق التعاسة التى تجلبها الخطية ٠

من عمق الشعور بالعجز و الفشل الذى يجرنى أحيانا إلى خوف من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب استمع صوتى ٠

من عمق المشاكل التى تحيط بى ، و لا أجد لها حلا إلا عندك ٠ من عمق المتاعب و التجارب ، التى تأتى من الناس و من الشيطان ٠ من عمق أخطار أشعر بها تقترب إلى ٠ من عمق خجلى من نفسى وأمامى ضعفاتى و سقطاتى ٠ من عمق الهاوية التى أنافيها ٠ مثل يونان الهارب منك ، الذى صلى قائلا " دعوت من ضيقى الرب ٠٠ صرحت من جوف الهاوية ٠٠ " (يون ٢ : ٢) ٠
من عمق حزنى على نفسى ، من عمق خوفى ٠٠ من كل هذه االأعماق صرخت إليك يا رب ، فاستمع صوتى ٠

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص – وهم فى الأعماق – ومع ذلك لا يصلون و لا يصرخون ٠ و آخرون يصلون ويصرخون ، ولكن ليس من الأعماق ٠

أما أنا ففى الأعماق ، اصرخ إليك من الأعماق ٠ أصرخ إليك لكى ترفعنى منها ٠ أنت " المقيم المسكين من التراب و الرافع البائس من المزبلة ٠٠ " (مز ١١٣ : ٧) ٠
انا من عمق ضعفى ، صرحت إلى عمق قدرتك ٠ و من عمق احتياجى ، صرخت إلى عمق قدرتك ٠ و من عمق احتياجى ، صرخت إلى عمق حنانك و محبتك ٠ و من عمق سقوطى ، صرخت إلى عمق مغفرتك ٠ و من عمق مشاكلى ، صرخت إلى عمق حكمتك التى تحل المشاكل ٠٠
من عمق الهاوية ، صرخت إلى علو سمائك ٠

✠ ✠ ✠

إنه مزمور إنسان شاعر بخطيته ، و معترف بها ، ويطلب المغفرة أو هو مزمور إنسان فى عمق ضعفه ، يطلب المعونة
مهما كان فى أسوأ حالة ، لكنه يصلى ٠ و حقا إن أعماق التعب و المذلة ، تساعد على الصلاة ، بل تدعو إليها و تمنحها عمقا ٠

إن أعمق صلاة نصليها ، نرفعها و نحن فى أعمق التعب ٠

وقد يسمح الله لنا بالتعب أحيانا ، لكى نصلى ٠ ننزل إلى الأعماق ، فترتفع صلواتنا ٠ وفى هذا المزمور ، يذكر المصلى اسم الرب ٨ مرات ٠
ويبدأ بعبارة " من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب استمع صوتى " ٠

صرخت إليك :

كثيراً ما يصلى الإنسان ، ولكنه قليلاً ما يصرخ فى صلاته ٠ فالصراخ درجة أعمق ، يدل على مقدار الحاجة ، و جدية الصلاة

و هوذا أنا يا رب أصرخ إليك ، من أعماقى ٠ أصرخ إليك كطفل يلجأ صارخا إلى أبيه القادر على معونته و هكذا أنا أصرخ إليك ، أيها الحنون ، القادر على كل شئ ٠ إنها صرخة استغاثة ، وصرخه إيمان ورجاء و احتياج ٠ صرخة قوية ، تذكرنى الشاعر المصرى ، الذى فى أحد أزجالة شرح قوة صرخته فقال " مثل صرخة غريق بينده لقارب نجاه ٠ بينده بينده ، بكل قواه ، للحياة ٠٠" ٠
إنها صرخة ، و ليست مجرد نداء ٠ صرخة تجذب حنان الرب كقول المزمور :

" من أجل شقاء المساكين ، وصراخ البائسين ، الآن أقوم – يقول الرب – أصنع الخلاص علانية " (مز ١٢ : ٥) ٠

تذكرنا بقول الرب فى مثل قاضى الظلم " افلا ينصف الله مختارية ، الصارخين إليه نهاراً و ليلاً " (لو ١٨ : ٧) ٠

و تذكرنا بقول الرب " إنى قد رأيت مذلة شعبى ٠٠ سمعت صراخهم ٠٠ فنزلت لأنقذهم " (خر ٣ : ٧) ٠

وقول الكتاب " صرخوا ، فصعد صراخهم إلى الله بسبب العبودية " (خر ٢ : ٢٣) ٠ ما أعمق عبـــارة " فصعد صراخهم على الله " ٠

إن المزامير تقدم لنا أمثلة من الصراخ و الإستجابة ، كقوله : " بصوتى إلى الرب صرخت ، فاستجاب لى من جبل قدسه " (مز ٣ : ٤)

" فى ضيقتى صرخت إلى الرب ، فاستجاب لى " (مز ٢٠ : ١) ٠ " فى ضيقى دعوت الرب ، وإلى إلهى صرخت ٠ فسمع من هيكله صوتى ٠ و صراخى قدامه دخل أذنيه " (مز ١٨ : ٦)

و هكذا يصلى داود " صرخت من كل قلبى ، فاستجب لى يا رب " (مز ١١٩ : ١٤٥) ٠ " أنصت يـــا رب إلى كلماتى ، واسمع صراخى ٠٠ " (مز ٥ : ١) ٠

وقدم لنا الكتاب مثالاً هو صراخ أهل نينوى فى توبتهم و مذلتهم :

إذ نودى فى المدينة " ليتغط الناس و البهائم بالمسوح ، ويصرخوا إلى الله بشدة ٠ و يرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة" (يون ٣ : ٨) ٠ و قد سمع الله صراخهم ، و استجاب لهم ورحمهم ٠

من العجيب أن أول صراخ فى الكتاب المقدس ذكر فى قول الرب لقايين :

" صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض " (تك ٤ : ١٠)

✠ ✠ ✠

وفى هذا المزمور ، يريد المرتل أن يصل صراخه إلى الله ، فيقول : " من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب استمع صوتى " ٠

استمع صوتى

طبيعى أن الله يسمع يسمع كل ما فى الكون ، فما المقصود بكلمة " استمع صوتى " ٠ و مثلهـــا عبـــارة " اسمعنا " فى لحن (افنوتى ناى نان) ؟

المقصود ليس مجرد سماع الأذن ، إنما الاهتمام و الاستجابة ٠

مثلما نقول إن فلاناً من الناس له " كلمة مسموعة " أى أنها تصل إلى المسئولين و إلى كل المهتمين بالأمر ، و تحدث تأثيرها ، ويكون لها وزنها و تقديرها ٠ و هكذا عندما يقول المصلى لله " اسمع صوتى " ٠ أى اسمع بالاهتمام ، بالقلب بالإرادة بالاستجابة ٠

ومن أشهر الصلوات فى هذا المجال ، صلاة سليمان يوم تدشين الهيكل ٠

إذ قال للرب فى ذلك اليوم " لتكن عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً و نهاراً ، لتسمع الصلاة التى يصليها عبدك فى هذا الموضع ٠ واسمع تضرع عبدك " (١مل ٨ : ٢٩ ، ٣٠) ٠

و ظل يستعرض حالات الشعب المحتاجة إلى معونة من الرب و استجابة ٠ و يكرر فى كل مرة عبارة " و اسمع أنت فى موضع سكناك فى السماء " و فى إحدى المرات يقول " وإذا سمعت فاغفر " ٠

وفى مرة أخرى يقول " اسمع ٠٠ واعمل واعط كل إنسان حسب طرقه كما تعرف قلبه " ٠ وفى مرة أخرى يقول " اسمع صلاتهم و تضرعهم واقض قضاءهم " (١مل ٨ : ٣٩ ، ٤٩) ٠

✠ ✠ ✠

"اسمع صوتى " تذكرنا بقول المصلى فى المزمور الكبير " فلتدن و سيلتى قدامك ٠٠ و لتدخل طلبتى إلى حضرتك " (مز ١١٩ : ١٦٩) ٠

و هكذا يقول فى مزمور آخر " أيها الرب إله الجنود اسمع صلاتى ٠ أصغ يا اله يعقوب ٠٠ التفت إلى وجه مسيحك " (مز ٨٤ : ٨) ٠

إنه يطلب السمع و الإصغاء و الاهتمام ، بل و الاستجابة ، كما يقول : " اصغ يا رب إلى صلاتى ، انصت إلى صوت تضرعى ٠٠ أستجب لى " (مز ٨٦ : ٦ ، ٧)

✠ ✠ ✠

يقول " اسمع صوتى " ذلك لأن هناك صلوات لا تسمع ، أى لا يلتفت الرب إليها ، و لا يقبلها ٠ إنها صلوات مرفوضة ٠

مثال ذلك قول الرب لليهود أيام اشعياء النبى ، حينما كانوا يحفظون الفرائض ويصلون من شفاههم لا من قلوبهم ، وهم بعيدون عن الله بخطاياهم ٠ فقال لهم الرب " حين تبسطون أيديكم ، استر وجهى عنكم ٠ وإن اكثرتم الصلاة ، لا اسمع ٠ أيديكم ملآنة دما ٠٠ " (أش ١ : ١٥)

✠ ✠ ✠

فهل يمكن أن يسد الله أذنيه ، ويصد مثل هذا المصلى ؟

نعم ، هناك صلوات غير مقبولة ، مثل صلاة الفريسى فى مثل الفريسى و العشار (لو ١٨ : ١١ ، ١٢) ٠ أو صلوات " المرائين فى المجامع و فى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس " (مت ٦ : ٥) ٠ أو كالكتبة و الفريسيين المرائين الذين " لعلة يطيلون صلواتهم " بينما هم يأكلون بيوت الأرامل " (مت ٢٣ : ١٤)

كلها صلوات لا يسمعها الله ، أى لا تستحق أن يسمعها الله

✠ ✠ ✠

فانا أصرخ إليك يا رب ، لكى تسمع صلاتى ، لكى تدخل صلاتى إلى حضرتك ، لكى تقبلها إليك ، على الرغم من خطاياى وعدم استحقاقى ، و على الرغم من شعورى بعدم وجود دالة حاليا بينى و بينك ؟!

كل ما ريده أن تصل صلاتى إليك ٠ و أترك الباقى إلى محبتك ، أنت الذى لا تعاملنى بحسب خطاياى ، و إنما بحسب رحمتك ٠

إننا نعرف أن احتياجاتنا تصل إليك ، حتى لو لم نصل !

كما قلت من قبل " قد رأيت مذلة شعبى ٠ سمعت صراخهم بسبب مسخريهم ٠٠ علمت أوجاعهم ٠٠ فنزلت لأنقذهم " (خر ٣ : ٧) فعلت ذلك على الرغم من أنهم لم يصلوا و قتذاك ٠

✠ ✠ ✠

كذلك قد يستمع الرب إلى دموعنا دون أن نصلى ٠ كما يقول المرتل فى المزمور " أنصت إلى دموعى " الدموع لها صوت يسمعه الله ، حتى و لو بدون صلاة ٠ ولكن لها استجابة من قلب الله الحنون ٠ أو حتى لو كان الإنسان يصلى فى قلبه ، وصوته لا يسمع ، كما كانت تفعل حنة طالبة من الله نسلا ، دون أن ترفع صوتها " (١صم ١ : ١٣)
" استمع يا رب صوتى " ٠ أشعرنى أنك أستلمت صلاتى ، و عرفتها ٠ و دخل صراخى إلى أذنيك ، ويكفينى هذا ٠
أصلى أن صلواتى تسمع ٠ و سأستمر فى الصلاة حتى أتأكد من هذا ٠ و اثقاً أنك مادمت قد سمعت الصلاة ، فسوف تتصرف ٠
يقول المرتل بعد ذلك : إن كنت للآثام راصداً يا رب ، يا رب من يثبت ، لأن من عندك المغفرة ٠

إن كنت للآثام راصداً ٠٠

طبيعى أن الله يعرف كل خطية نرتكبها ، سواء بالقول ، أو بالفعل ، بالفكر ، أو بجميع الحواس ٠ كما قال قال القديس يوحنا فى رؤياه : " و انفتحت أسفار ٠٠ و دين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب اعمالهم " (رؤ ٢٠ : ١٢) ٠ كما قال القديس بولس الرسول " لأنه لابد أننا جميعا نظهر امام كرسى المسيح ، لينال كل و احد منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً " (٢كو ٥ : ١٠)
فما معنى " إن كنت للآثام راصداً " ، بينما الكل مسجل و مرصود ؟
إن الله كلى المعرفة ، و لا يخفى عليه شئ ٠ إذن فهو يعرف و يرصد ٠ و هو الذى وضع الضمير فى الإنسان الذى يرصد أعماله ، و بالأولى الله ٠ وهو أيضاً القدوس الذى لا يقبل الخطية ، و العادل الذى لا يتساوى أمامه الطيب و الخبيث إذن ما المقصود بقول المرتل : إن كنت للآثام راصداً يا رب ٠٠

أى إن كنت ترصد الآثام لتعاقب عليها ٠٠ تخرنها لتديننا بها ٠

إن كنت كذلك ، فمن يثبت ؟! كلنا خطاة ٠ كلنا فى الموازين إلى فوق ٠ إن حاسبتنا ، فسوف يستد كل فم ٠ وكما فم ٠ و كما يقول المرتل للرب فى مزمور آخر : " لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك ٠ فإنه لا يتزكى قدامك أى حى " (مز ١٤٣ : ٢) ٠

أنت لا ترصد الخطايا ، بل تمحوها بالمغفرة ٠

إنه كالطبيب يرصد الأمراض لكى يعالجها ، وليس لكى يوبخ المريض عليها ٠ كل علل المريض واضحة أمامه ، ولكن لكى يخلصه منها ٠ و هكذا انت أيضاً قلت " لم آت لأدين ، بل لأخلص " ٠ إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص " (لو ٩ : ٥٦) ٠ و جاء يطلب و يخلص ما قد هلك " (لو ١٩ : ١٠) ٠ وكيف ذلك ؟ ٠٠ بالمغفرة ٠

لأن من عندك المغفرة :

طول أناته ، تقود إلى التوبة (رو ٢ : ٤) ٠ وبالتوبة المغفرة ٠ و يتغنى المرتل بهذه الغفرة ، فيقول " طوبى للذى غفر إثمه و سترت خطيته ٠ طوبى لإنسان لا يحسب له الرب الرب خطية " (مز ٣٢ : ١ ، ٢) ٠ هذه الخطايا التى لا تحسب ، يقول عنها الرب فى سفر ارميا النبى " لأنى أصفح عن إثمهم ، و لا أذكر خطيتهم بعد " (أر ٣١ : ٣٤) ٠

لا يحسب لنا خطايانا ، فى التوبة من جهتنا ٠ و أيضاً فى المصالحة التى تمت على الصليب ، كما قال القديس بولس الرسول " إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم " (٢كو ٥ : ١٦) ٠

الله إذن – فى المصالحة – لا يرصد الخطايا ، بل يمحوها ٠

" إذ محا الصك الذى علينا ٠٠ مسمراً اياه على الصليب (كو ٢ : ١٤) ٠ و قال الرب " أنا أنا هو الماحى ذنوبك ٠ و خطاياك لا أذكرها " (أش ٤٣ : ٢٥) ٠ و أيضاً " قد محوت كغيم ذنوبك ، و كسحابة خطاياك " (أش ٤٤ : ٢٢) ٠ كل ذلك بشرط التوبة ٠

من أجل اسمك

صبرت لك يا رب :

أنا من أجل اسمك ، صبرت إلى أن يأتى خلاصك ٠ صبرت إلى أن تأتينى معونتك ، وإلى أن أنال مغفرتك

فما هو اسمك الذى صبرت له ؟

اسمك كمخلص ٠ وعنك قال الملاك المبشر بميلادك : " و تدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم " (مت ١ : ٢١) ٠ فكلمة يسوع معناها مخلص ٠

وأيضاً صبرت من أجل اسمك (عمانوئيل) " الذى تفسيره الله معنا " (مت ١ : ٢٣) ٠ فمادمت معنا ،إذن ساصير لعملك فينا ، و عملك من أجلنا ٠

من أجل اسمك الحنون الشفوق الغفور ، الذى " لم يصنع معنا حسب خطايانا ، و لم يجازنا حسب آثامنا " (مز ١٠٣ : ١٠) ٠٠ الذى قيل عنه " الرب رحيم ورؤوف ، طويل الروح ، كثير الرحمة ٠ لا يحاكم إلىالأبد ، و يحقد إلى الدهر " (مز ١٠٣ : ٨ ، ٩) ٠

من أجل اسمك هذا ، صبرت و أنا مملوء بالرجاء ٠

صبرت و أنا واثق أنك ستعمل فى للتوبة و للمغفرة ٠ و ستعمل فى لكى أنفذ وصاياك وناموسك ٠

صبرت نفسى لناموسك

انتظرت نفسى لناموسك

انتظرت حتى يمكننى أن أنفذ ناموسك فى ٠ صبرت حتى تأتينى المعونة التى أنفذ بها كل كلامك ٠ أو فى ترجمة اخرى " أكثر من المراقبين الصبح " ٠ أى الذين فى الظلمة و ينتظرون الصبح متى يجئ فهم يراقبون مجيئه ٠

و هنا أراقب مجئ صبحك متى يأتى ليبدد ظلمتى ٠

✠ ✠ ✠

ثم يتحول من صلاته لأجل نفسه إلى الصلاة لأجل الشعب كله فيقول : أكثر من المراقبين الصبح فلينتظر اسرائيل الرب ٠

و كلمة (إسرائيل) هنا لها معنى رمزى ٠ أى الشعب كله فلينتظر الرب من الليل حتى الصبح ٠

✠ ✠ ✠

" لأن الرحمة من عند الرب ، و عظيم هو خلاصه (فداؤه) ٠ وهو يفدى إسرائيل من كل آثامه " ٠

هنا الذى يصرخ من الأعماق ، الذى ينتظر من الظلمة مراقباً الصبح متى يجئ ، إنما ينتظر خلاص الــرب الذى سيأتى بالفداء ٠ وهو خلاص ينتظره كل الشعب ٠ و عنه عبر سمعان الشيخ بقولــه " الآن يــا رب تطلق عبدك بسلام ، لأن عينى قد ابصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب " (لو ٢ : ٢٩ / ٣٠) ٠ و المصلى واثق الرب سيفدى الشعب من كل آثامه ٠

تفسير مزمور
ها باركوا الرب

ها باركوا الرب ..

ها باركوا الرب يا عبيد الرب ،
القائمين في بيت الرب ، في ديار إلهنا .
في الليالي ارفعوا أيــديكم أيهــا القديسون ، وباركوا الرب .
يباركم الرب مــن صــهيون ،
الذي خلق السموات والأرض .

هللويا

هذا المزمور القصير ، السهل الحفظ ، هو من المزامير المشهورة في صلواتنا اليومية ، في الأجبية . إنه مكرر في صلاة النوم ، وصلاة الستار ، ومقدمة صلاة نصف الليل ، وفي الهجعة الثالثة منها . فما سر العمق الذي فيه ؟ الذي من أجله وضع في كل تلك الصلوات ؟
لكى نجيب على هذا السؤال ، فلنتناول فقرات المزمور واحدة واحدة ونتأملها :

ها باركوا الرب

مباركة الله لنا ، هي مباركة الكبير للصغير (عب٧ : ٧) .

أما مباركتنا للرب ، فتعنى تسبيحه ، أو الاعتراف ببركته ، وشكره عليها .

وهكذا يقول داود في المزمور " باركى يا نفسى الرب ، ولا تنسى كل حسناته " (مز١٠٣ : ١ ، ٢) . ويعنى هنا الاعتراف ببركاته وحسناته ، وذكرها باستمرار ، ومن أعماق القلب " باركى يا نفسى الرب ، وكل ما في باطنى فليبارك إسمه القدوس " .. وبعد ذلك يذكر المرتل بالتفصيل إحسانات الله إليه .
وهكذا فعل زكريا الكاهن أبو يوحنا المعمدان ، لما فك الله عقدة لسانة : انفتح فمه وبارك الله (لو١ : ٦٤) . وهكذا فعل سمعان الشيخ ، لما رأى الطفل يسوع ، فشكر الله على خلاصه ، إذ " حمل الطفل على ذراعية ، وبارك الله " (لو٢ : ٢٨) .

✠ ✠ ✠

ومباركتنا لله تعنى تمجيده أيضاً .

وهكذا نقول في تسبحة البصخة باستمرار " لك القوة والمجد والبركة " .
ويقول القديس يعقوب الرسول عن اللسان " به نبارك الله الآب ، وبه نعلن الناس الذين خلقوا على شبه الله " (يع٣ : ٩) . وهنا عبارة نبارك الله تعنى نمجده أو نسبحه ...
وبالمثل حينما قال أيوب الصديق في تجربته " الرب أعطى ، الرب أخذ . ليكن اسم الرب مباركاً (أي ممجداً " (أي١ : ٢١) . ويقول المرتل للرب في المزمور " طوبى لكل السكان في بيتك ، يباركونك إلى الأبد " (مز٨٤ : ٤) أي يمجدونك ويسبحونك .

✠ ✠ ✠

وهنا نرى داود في هذا المزمور يدعو الناس إلى مباركة الله .

أي إلى تسبيحه وتمجيده ، فيقول " ها باركوا الرب يا عبيد الرب " . وهو في المزمور (١٠٣) لا يقتصر فقط على دعوة البشر بل أنه يقول " باركوا الله يا ملائكته المقتدرين قوة ، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه . باركوا الرب يا جميع جنوده ، خدامه العاملين مرضاته . باركوا الرب يا جميع أعماله في كل مواضع سلطانه . باركي يا نفسي الرب " (مز١٠٣ : ٢٠ – ٢٢) .
ونرى هنا أن الذين يباركون الرب أي يمجدونه ، هم الفاعلون أمره ، العاملون مرضاته .
هم الذين يمجدونه بالطاعة ، ويسبحونه بعمل مشيئته . وهم الذين ينطبق عليهم قول الرب في العظة على الجبل " فليضئ نوركم هكذا قدام الناس ، لكى يروا أعمالكم الحسنة ، ويمجدوا أباكم الذي في السموات " (مت٥ : ١٦) . فعلمنا الخير ، يجعل اسم الرب مباركاً من الناس .

✠ ✠ ✠

إننا نبارك الرب بأساليب روحية متعددة ومتنوعة .

نباركه في صلواتنا بكلام التسبيح والتمجيد . ونباركه بقبول مشيئته وعدم التذمر أياً كان الأمر ، كما ترك أيوب الصديق لنا مثالاً . ونباركه أيضاً بالخشوع والوقار ، في بيت أيوب الله ، وفي وقت الصلاة . ونباركه حينما لا ننطق باسم الرب باطلاً (تث٥ : ١١) . ونباركه حينما تكون حياتنا قدوة للناس ، وحينما ندعو الناس إلى محبته وحفظ وصاياه .

على أن المرتل يقدم لنا دافعين أساسيين للمباركة فيقول : يا عبيد الرب " القائمين في بيت الرب " .

يا عبيد الرب

عبيده هم خدامه العاملين مرضاته ، الذين ليسوا عبيداً لغيره ، أياً كان هذا الغير ، شخصاً كان أو شيئاً . كما قال الرب عن المال " لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدروا أن تخدموا الله والمال " (مت٦ : ٢٤) .. وعبيد الرب ، هم الذين لا يصنعون لهم على الأرض تمثالاً منحوتاً .. وهنا أحب أن أقول :

إن بنوتنا لله ، لا تمنع كوننا عبيداً له .

✠ ✠ ✠

هوذا الرب يقول للإنسان البار في اليوم الأخير " نعماً أيها العبد الصالح والأمين . كنت أميناً في القليل ، فأقيمك على الكثير . ادخل إلى فرح سيدك " (مت٢٤ : ٢١ ، ٢٣) .. قال هذا لصاحب الخمس الوزنات ، كما قاله لصاحب الوزنتين أيضاً .

بل حتى الرعاة أيضاً دعاهم عبيداً ، مثل رعيتهم .

فقال يا ترى من هو الوكيل الأمين ، الحكيم الذي يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم في حينه . طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله " (لو١٢ : ٤٢ – ٤٤) . هذا الوكيل الأمين الحكيم المقام على الكل ، هو عبد أيضاً ...

ما أجمل أن نقرأ في رسائل بولس الرسول ، الذي صعد إلى السماء الثالثة ، والذي تعب أكثر من جميع الرسل (٢كو١٢) إنه يبدأ بعضاً من رسائله بقوله " بولس عبد ليسوع المسيح " (رؤ١ : ١) . " بولس وتيموثاوس عبدا ليسوع المسيح " (فى١ : ١) . " بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح " (تى١ : ١) ..

فلا نجعل بنوتنا لله تجعل قلوبنا ترتفع .

✠ ✠ ✠

إنما عبارة " عبد " نقودنا إلى الإتضاع والتخشع .

وتقودنا أيضاً إلى الطاعة ، بل كما قال الرب " مهما فعلتم كل ما أمرتم به ، فقولوا إننا عبيد بطالون .. " (لو١٧ : ١٠) . وما أجمل ما قاله القديس أوغسطينوس في إحدى صلواته من أجل شعبه .. قال " اطلب إليك يارب من أجل سادتى ، عبيدك " . فإن كنا خداماً لأفراد الرعية ، فكم بالأكثر نكون من أجل إلههـا وإلهنا .. ها باركوا الرب يا عبيد الرب ، القائمين في بيت الرب :

القائمين في بيت الرب

نقول هذه العبارة على نوعين من الناس :

إما خدام بيت الرب ، أو أي أناس يصلون في بيته .

ها باركوا الرب يا عبيد الرب خدامه ، رجال الإكليروس عموماً ، القائمين في بيت الرب باستمرار .. أو عن الرهبان الساكنين في بيت الرب في ديار إلهنا ، الذين يقول عنهم المرتل في المزمور " طوبى لكل السكان في بيتك ، يباركونك إلى الأبد " (مز٨٤) ، غذ ليس لهم عمل آخر سوى تسبيح الرب ، يباركونه الآن وإلى الأبد .

أو تقال على المصلين في الكنيسة ، أو في ديار الرب ، لا ينشغلون بشيء آخر غير التسبيح .

فيقول لهؤلاء : حينما تدخلون بيت الرب ، لا يكن لكم عمل آخر سوى هذا : ها باركوا الرب .. لأنه إن كنا لا نبارك الله في بيته ، فلماذا دخلنا بيته إذن ؟!

على أن كل مكان نقدسه بصلواتنا ، يمكن أن يعتبر بيتاً للرب . إنه " الكنيسة يصلون ويسبحون الرب في السجون ، حولوها بذلك إلى بيوت للرب ، ولو إلى حين .. بل إن كل مكان نصلى فيه صلاة الشكر نقول عنه للرب " . وهذا الموضع المقدس الذي لك " .

✠ ✠ ✠

إن المؤمن الحقيقى يحول كل مكان إلى بيت الرب .

ويصلى ويقول " للرب الأرض وملؤها . المسكونة وجميع الساكنين فيها " (مز٢٣ : ١) .. أليس آباؤنا الرهبان والسواح والمتوحدون قد حولوا كل البراري التي عاشوا فيها على بيت للرب ، بتسابيحهم وصلواتهم المرفوعة إليه .. بل إن المؤمن المحب لله قد يقول له : كل بيت ليس لك ، لا أستطيع يارب أن أدخله ، إلا لكى أدخل اسمك فيه ، أو أحوله إليك بطريقة ما ..

المرتل يدعو القائمين في ديار إلهنا إلى أن يباركوه (يسبحوه) . ولكن كيف ؟ ومتى ؟ إنه يقول " في الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون ، وباركوا الرب " .

في الليالى

الليل الهادئ الساكن ، الخالى من ضوضاء النهار ، ومن مشاغله ولقاءاته ، تحلو فيه الصلاة .. وما أصدق ذلك الأب الروحى الذي قال " إن الليل مفروز لعمل الصلاة " .. وقال أيضاً " إن صلاة واحدة تصليها بالليل ، أفضل من مائه صلاة تصليها بالنهار " ..

يقصد الصلاة التى تصليها في ذلك السكون ، وتتميز لذلك بجمع الفكر ، وجمع الحواس ، وعدم التشتت ، وعدم الإنشغال ...

ولذلك ما أجمل ما قيل عن السيد المسيح إنه " كان في النهار يعلم في الهيكل ، وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذي يدعى جبل الزيتون " (لو٢١ : ٣٧) . وكان جبل الزيتون مكاناً للصلاة والتأمل .

أو قيل عن الرب أيضاً إنه : " خرج إلى الجبل ليصلى ، وقضي الليل كله في الصلاة " (لو٦ : ١٢) .

وهنا نركز على ربط الليل بالصلاة ، وبالجبل .. ومما يذكر عن الليل أيضاً أنه " اتى على تلاميذه في الهزيع الرابع من الليل " (مت١٤ : ٢٥) . وقيل عن مجئ المسيح الثانى " وفي منتصف الليل صار صراخ : هوذا العريس قد اقبل " .. (مت٢٥ : ٦) .

✠ ✠ ✠

ومسألة الليل ، تذكرنا بفضيلة السهر ..

السهر لاستقباله .. كما قيل " اسهروا لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت أمساء ، او نصف الليل ، أم صياح الديك ، أو صباحاً .. لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياماً " (مر١٣ : ٣٦) وقال ايضاً " طوبى لأولئك العبيد ، الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين " (لو١٢ : ٣٧) .

وما أكثر القصص التى وردت في سير القديسين عن سهرهم الليل كله في الصلاة ، مثلما كان يفعل القديس أرسانيوس الكبير . وما أجمل ما قيل عن الرعاة في قصة الميلاد إنهم كانوا " يحرسون حراسات الليل " (لو٢ : ٨) .

✠ ✠ ✠

والليل له تأملاته وصلواته الكثيرة في مزامير داود :

إنه يقول " ذكرت في الليل إسمك يارب " (مز١١٩ : ٥٥) .. " وفي نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك " (مز١١٩ : ٦٢) ..

" بالليل بسطت يدى " (مز٦ : ٦) . فكان الليل إذن للصلاة وللشكر والبكاء على الخطايا ، كما يقول أيضاً " في العشاء يحل البكاء ، وفي الصباح السرور " (مز٢٩) .

✠ ✠ ✠

" وما أصلح الليل للتأمل ، ولمحاسبة النفس أيضاً " .

كما تقول عذراء النشيد " في الليل على فراشى ، طلبت من تحبه نفسى " (نش٣ : ١) .. حتماً أن الله يطلبنا في هذا الوقت الهادئ . وإن لم نفتح له قلوبنا ، يعاتبنا بقوله " لأن رأسى قد أمتلأ من الطل ، وقصصى من ندى الليل " (نش٥ : ٢) .

حقاً إن الذي يكسب صداقة الليل ، لا يعتب من شغب النهار .

وأقصد أن الذي يقضى الليل في الصلاة والقراءة والتأمل ، وفي مناجاة الله ، وفي البكاء على خطاياه .. هذا يكنز به رصيداً من الروحيات ، تصد عنه هجمات العدو في حروب النهار وعثراته ...

✠ ✠ ✠

الليل أيضاً حافل بقصص الرؤى والأحلام التى من الله .

يقول اليهو البار في قصة ايوب الصديق " لكن الله يتكلم .. في حلم في رؤيا الليل ، عند سقوط سبات على الناس ، في النعاس على المضجع . حينئذ يكسف آذان الناس .. " (أى٣٣ : ١٤ – ١٦) ..

وما أكثر الأحلام المقدسة التنى أرشد فيها الرب أبراره ليلاً مثلما ظهر ملاك الرب في حلم ليوسف النجار ، وبشره بميلاد المسيح (مت١ : ٢٠ – ٢٤) . وفي حلم آخر كلمة أن يذهب إلى مصر في حلم للمجوس وأرشدهم (مت٢ : ١٢) .

الملاك الذى أنقذ بطرس من السجن ، جاءه ليلاً (أع١٢ : ٦) وكذلك في نصف اللي كان انقاذ بولس وسيلا (أع١٦ : ٢٥ ، ٢٦) . وفي اللي أيضاً كان قول الرب لبولس " كما شهدت بما لي في أورشليم ، ينبغى أن تشهد في رومية أيضاً " (أع٢٣ : ١١) .

يقول المرتل " في الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون ، وباركوا الرب " . وهنا نقف عند عبارة " ارفعوا أيديكم " .

ارفعوا أيديكم

رفع اليدين هو اتجاه نحو السماء كرسى الله .

يقول داود النبى " باسمك ارفع يدى ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم " (مز٦٣ : ٤) . ويقول أيضاً " فلتستقم صلاتى كالبخور قدامك . وليكن رفع يدى ذبيحة مسائية " (مز١٤١ :٢) . ويقول أيضاً " بسطت إليك يدى . صارت نفسى نحوك مثل أرض بلا ماء " (مز١٤٣ : ٦) . وأيضاً " دعوتك يارب كل يوم بسطت إليك يدى " (مز٨٨ : ٩) .

✠ ✠ ✠

إن رفع اليدين هو اشتراك للجسد مع الروح في الصلاة .

هو لون من خشوع الجسد ، وارتفاعه إلى الله ، مع الروح .. ليست الروح فقط هي التى تصلى ، إنما الإنسان كله روحاً وعقلاً وجسداً . الجسد يرفع يديه إلى فوق ، ويرفع نظره إلى فوق وتنحنى هامته إلى أسفل ، وتركع قدماه ويسجد .

موسى كان يرفع يديه ، فينتصر الجيش على عماليق (خر١٧ : ١١) . وإذا انخفضت يداه ، كان الجيش ينهزم ، فثبتوا يديه مرفوعتين إلى غروب الشمس ، فهزم يشوع عماليق (خر١٧ : ١٢ ، ١٣) . إن بسط اليدين كذلك ، علامة للصليب .

" ارفعوا أيديكم ايها القديسون وباركوا الرب " .

إن المرتل يكلم المصلين القديسين الذين يرفعون أيديهم في الصلاة إلى فوق ، ساهرين الليل في الصلاة يسبحون الله . ويقول لهم أن الله سيمنحكم بركته .

يباركم الرب

" يباركم الرب من صهيون الذي خلق السماء والأرض " .

هنا الاستجابة للصلاة : منح البركة لكم من الله .
" من صهيون " أي من جبلة المقدس ، من موضع قدسه ، من مكان الذبيحة والمذبح ورائحة البخور .
" يباركك الرب الذي صنع السماء والأرض " (الذي صنع السماء التىترفعون أيديكم نحوهـــا ، وصـــعنه الأرض التى تقفون عليها .. الله الخالق ، القادر على كل شئ ، مصدر كل بركة يباركك بكل بركة روحية (والبركة) موضوع طويل ، لعلنا نلتقى به في مناسبة أخرى .

سبحى الرب يا أورشليم

سبحى الرب يا أورشليم ، سبحى إلهك يا صهيون ، لأنه قد قوى مغاليق أبوابك ، وبارك بنيك فيك ٠ الذى جعل تخومك فى سلام ، ويشبعك من شحم الحنطة ٠ الذى يرسل كلمته إلى الأرض ، فيسرع قوله عاجلاً جداً المعطى الثلج كالصوم ، المذرى الضباب كالرماد ، و يلقى الجليد مثل الفتات ، قدام وجه برده من يقوم ؟ يرسل كلمته فتذيبه ، تهب ريحه فتسيل المياه ٠ المخبر كلمته ليعقوب ، وفرائضه و أحكامه لإسرائيل ، لم يصنع هكذا بكل الأمم ، و أحكامه لم يوضحها لهم ٠ هللويا ٠٠

نقدم المزمور ١٤٧ و هو آخر مزمور فى صـــلاة النـــوم ٠ سبحى الرب يا أورشليم ، سبحى إلهك يا صهيون ٠

أورشليم هى صهيون ٠ يطلب منها المرتل أن تسبح الرب إلهها ٠ أما المعنى الحرفى كما يقول القديس أو غسطينوس فهو أن هذا المزمور وسابقه عبارة عن تسبحة للرجوع من سبى بابل ٠

أما من الناحية الرمزية فتشير أورشليم إلى الكنيسة حيث يوجه المصلى تأملاته إليها أثناء المزمور ٠

ومن الناحية الروحية الخاصة ، يمكن أن تشير أورشليم إلى قلب الإنسان أو نفســه التـــى هـــى عـــروس المسيح ٠ و لكن لماذا يطلب المرتل من أورشليم أن تسبح الله ؟ ما هى مناسبة التسبيح ؟

✠ ✠ ✠

لأنه قوى مغاليق أبوابك و بارك بنيك فيك ٠ الذى جعل تخومك فى سلام و يملآك من شحم الحنطة

يمكن أن يقال هذا كصلاة شكر كلما يشعر الإنسان بحفظ الله للكنيسة ورعايته لها ٠ فأورشليم حيث هـــى قلب المصلى أو نفسه ، فإنه يسبح الله شاكراً لأنه حفظه من الخطية ، إذ قوى مغاليق أبوابه ٠ وأبـــواب النفس هى الحواس : السمع ، البصر ، اللمس ٠٠ إلخ ٠ هذه قد قوى الله مغاليقها ، فأصبحت لا تـــدخل إلى القلب أية فكرة شريرة ، أو أى أحساس ردئ ٠ و ابواب النفس هى أيضـــاً الشـــهوات و الرغبـــات و الأفكار ٠ و هذه قوى الله مغاليقها ٠ فلو حاول العدو أن يدخل منها إلى النفس ليفسدها بأباطيل العـــالم ، يجدها مغلقة فى جهة ٠

✠ ✠ ✠

هذا كله من الناحية السلبية ٠ أما من الناحية الإيجابية ، فيقول " بارك بنيك فيك " ٠هؤلاء البنون الذين تلدهم النفس من عمل الروح القدس فيها هم الفضائل ٠ و عندما يبارك الله هؤلاء البنين إنما يعنـــى أنـــه يكثر ثمار القدس فى النفس ، على أن هؤلاء قد باركهم الله فيها ، أى فى داخل النفس ، و ليس خارجاً كما يفعل المراؤون ٠

✠ ✠ ✠

و نتيجة لكل هذا صارت تخوم النفس فى سلام ، أى لم يعد الجسد يشتهى ضد الروح ، و لا الروح ضـــد الجسد ، بل تصالح الإثنان فعاش الإنسان فى سلام : فلا صراع داخلى يضنيه فى مقاتلة الشهوات ٠ اصبح فى سلام من جهة حربه ضد الشيطان و الجسد و العالم ٠٠ إلخ ٠

" ويملأك من شحم الحنطة " ٠ أى من الخير ، من نعمه و إحساناته ٠ ولكن كيف تم هذا النصر ، هـــذا العمل المجيد ، سواء للقلب أو للكنيسة ؟ يجيب المرتل بقوله :

✠ ✠ ✠

الذى يرسل كلمته إلى الأرض ، فيسرع قوله عاجلاً جداً ٠

يقول القديس أوغسطينوس كلمة الله هو المسيح ، وقد أرسله على الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً ، لأنه فى فترة قصيرة من الزمان كانت الكرازة قد وصلت إلى أقاصى الأرض ٠

و لم يمر نصف قرن على إرسال السيد المسيح لتلاميذه حاملين قوله ، حتى أسرع قوله عاجلاً جداً ، فدخل قلوب المؤمنين بسهولة ٠٠ بعظة واحدة من بطرس آمن أكثر من ثلاثة آلاف (أع ٢ : ٤١)٠ و بعد معجزة شفاء المقعد عند باب الجميل كثر العدد جداً ٠ ثم نسمع انه " كان مؤمنون بنضمون للرب أكثر ، جماهير من رجال ونساء " (أع ٥ : ١٤) ٠ " وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان " (أع ٦ : ٧) و هكذا أسرع قوله عاجلاً جداً حتى ملأ الأرض ٠ فكأن المرتل يقول للكنيسة : هذا الذى بارك بنيك فيك ، هو الذى أرسل كلمته إلى الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً ٠٠ فباركيه و سبحيه على حاضره و ماضية معك ٠٠

✠ ✠ ✠

على أننا يمكن أن نأخذ هذا أيضاً على النفس البشرية ٠

لأن السيد المسيح شبه الإنسان الصالح بالأرض الجيدة التي أخرجت ثماراً ثلاثين و ستين و مائة (مت ١٣ : ٢٣) ٠ فالإنسان المشبه بالأرض الجيدة ، يسبح الله فى هذا المزمور على هذا الثمر الكثير ، لأن الله ارسل كلمته إلى الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً ٠

يمكن أن تذكر هذه الاية من المزمور كلما قرأت أو سمعت كلام الله فترك فى نفسك أثرا قويا سريعا ٠٠ حينئذ تقف أمام الله و تقول " سبحى الرب يا اورشليم ٠٠ الذى بارك بنيك فيك ٠٠ الذى يرسل كلمته إلى الأرض فيسرع قوله عاجلاً جداً " ٠

هذا هو " **شحم الحنطة** " الذى قصده فى الآية السابقة ٠ لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله " (مت ٤ : ٤) ٠ هذا الكلام الذى يرسله الله إلى الأرض يكون كالشحم ، بل إن داود يقول " وباسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كأنها من شحم ودسم " ٠ هذا هو السحم الذى يعطية الله " للجياع و العطاش إلى إلى البر " (مت ٥ : ٦) ، فيشبعون ٠

✠ ✠ ✠

هنا يعرض لنا سؤال هام و هو :

هل هذا المزمور لا نقوله إلا فى الحالات الروحية السامية شاكرين الله على الرا\وقات التى نرى فيها تخومنا فى سلام وقد قوى الله مغاليق أبوابها و بارك بنيها فيها ، أم فى حالات الحروب ايضاً ، و التعب و الجهاد ضد الخطية ؟ يجيب المرتل على هذا السؤال بقوله : المعطى الثلج كالصوف ، و المذرى الضباب كالرماد ، و يلقى الجليد مثل الفتات ٠

الله لم يدع إلى ملكوته الأتقياء فقط الحارين فى الروح ، وإنما دعا إليه من المشارق و المغارب أناساً من كل نوع ٠ و هنا يميز المرتل ثلاثة أنواع : الثلج و الضباب ، و الجليد ٠ فإلى من يشير هؤلاء ؟

✠ ✠ ✠

(أى ٤٢ : ٦) ٠ وكما حدث فى توبة نينوى المشهورة أنه حتى ملكها تغطى بمسح و جلس على الرماد " (يو ٣ : ٦) ٠ نعم هؤلاء الذين " سقط عليهم ضباب و ظلمة " (أع ١٣ : ١١) ٠ و حجب الضباب عنهم شمس البر فلم يروا الرب ، هؤلاء سوف لا يتركهم الله ٠ بالتوبة يذرى منهم الضباب فيبصرون ، و يتحول ضبابهم إلى رماد ٠

✠ ✠ ✠

و ماذا عن الجليد ؟ الجليد صلب جداً ، لا يذوب بسهولة مثل الثلج ٠ إنه يشير إلى البرودة الروحية الشديدة أو إلى القسوة و الصلابة فى البعد عن الله ٠

و حتى الذين على هذه الصفة يحولهم إلى فتات ، أى يغذى بهم آخرين ٠ أو قد يدل هذا ٠ فى رأى القديس أوغسطينوس – على انه يصيرهم أعضاء فى جسده المسيح ٠ فقارن بالآية (١كو ١٠ : ١٧) ٠ و يضرب القديس أوغسطينوس لهذا النوع ببولس الرسول ، فيقول عنه " كان جليداً صلبا ، ومقاوماً للحق ، صارخاً ضد الإنجيل ٠٠ و إذا كان جليداً بدا أبيض ورائقاً ، ولكنه كان صلبا جداً وباردا ورائقا ٠ فكيف

كان أبيض لامعاً ؟ أنظروا ٠٠ عبرانى مع العبرانيين من جهة الناموس فريسى ، هذا هو لمعان الجليد ٠ ولكن اسمعوا الآن عن قساوة الجليد : من جهة الغيرة مضطهد للكنيسة (فى ٣ : ٥ ، ٦) ٠

✠ ✠ ✠

يمكن للمصلى أن يطبق هذه الحالات الثلاث على نفسه :

الثلج حالة برودة روحية يسمح الله بها وهو قادر أن يحولها إلى حرارة كالصوف ٠ و الضباب ظلمة تكتنف النفس من جرأة الخطية ، فيزيلها الرب بالإنسحاق ٠ و الجليد شدة و قوسوة وصلابة فى البعد عن الله أو التعصب لفكرة معينة ٠ و يحول الله هذه الشدة لمنفعة الآخرين أو يفتتها ٠
على أية الحالات نحن نشكر الله لأنه لم يبق الثلج و لا الضباب و لا الجلدي على حالة ، بل أذابه ، و إلا

فى وجه برده من يقوم ؟!

من يستطيع أن يحتمل هذه الحالات ؟! لا يملك الإنسان إلا أن يصرخ " ويلى أنا الإنسان الشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟" (رو ٧ : ٢٤) ٠ بقوتى لا أستطيع شيئا ٠ ها أنذا ازداد برودة وصلابة أية حرارة تذيبنى حتى أسيل وأجرى ؟ من ينقذنى من جسد هذا الموت الذى فى وجه برده من يقوم ؟ هل اياس ؟! كلا ، لأنه يقول

✠ ✠ ✠

يرسل كلمته فتذيبه ٠٠ يهب روحه فيسيل المياه ٠

الله الكلمة هو شمس البر ، هو يذيب الثلج و الجليد ، ويحوله – بروحه القدوس – إلى " ماءحى ينبع إلى حياة أبدية " ٠ يروى أيضاً " العطاش إلى البر " ٠ ولكن كيف يحدث هذا ؟ هل هناك سر وراءه ؟ نعم ، و السر هو :

✠ ✠ ✠

المخبر كلمته ليعقوب وفرائضه وأحكامه لإسرائيل ٠

ما الذى اخبر الرب به يعقوب ؟ قال له " جاهدت مع الله و الناس وقدرت " (تك ٣٢ : ٢٨) ٠ المسالة إذن تحتاج على جهاد ، كالصراع الذى صارع به يعقوب الرب ، لا يصح أن ننام و نتهاون و نكسل ، و ننتظر أن يهب روحه فيسيل المياه ! لأن ملكوت السموات يغصب و الغاصبون يختطفونه (مت ١١ : ١٢) ٠ و فى ذلك يقول القديس أغسطينوس " لئلا إذا حصلنا بسهولة على ما فقدناه ، نتعلم أن نفقد بسهولة ما حصلنا عليه ٠ فليتعب الإنسان لكى ينال ٠ فإنه حينئذ سيمسك بحزم هذا الذى حصل عليه بعد تعب ٠٠ هذه هى فرائضه و أحكامه التى أعلنها لإسرائيل " ٠

✠ ✠ ✠

لم يصنع هكذا بكل الأمم و أحكامه لم يوضحها لهم ٠

إذن كيف خلص الأمم ؟ كيف ذاب منهم الثلج و الضباب و الجليد ؟ يقول الرسول ! " أنت زيتونة برية ، طعمت فيها (فى الزيتونة الأصلية) ، وصرت شريكاً فى أصل الزيتونة ودسمها " (رو ١١ : ١٧) ٠
لم يعد الأمم أمما ٠ الكل شعب واحد فى المسيح ، شعب يعقوب وروحيا يمكن للمصلى بهذه الاية أن يشكر الله على ما أوضحه له من فهم وصاياه مما لم يوضحه لغيره ، و خاصة من الأمم التى لم تعرف المسيح ٠ ويشكره لأنه كشف عن عينيه ليرى عجائب من ناموسه (مز ١١٨ : ج)

١

هوذا أنا عتيد أن أقف
أمام الديان العادل

غالبية الشعب تصلى صلاة النوم ، وتقول فى قطعتها الأولى :
" هوذا أنا أعتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً و مرتعبا من أجل كثرة ذنوبى ، لأن العمر المنقضى فى الملاهى يستوجب الدينونة ٠ فتوبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ، لأن التراب فى القبر لا يسبح ٠ ليس فى الموتى من يذكر ، و لا فى الجحيم من يشكر ٠ بل انهضى من رقاد الكسل ، و تضرعى إلى المخلص بالتوبة ، قائلة اللهم ارحمنى و خلصنى ٠٠ " ٠

تذكار الموت

أود أولا أن أقول عن الكنيسة المقدسة باستمرار تجعل تذكار الموت قائما أمام ألإنسان ، لما فى ذلك من فؤائد روحية ٠

الشخص الذى يغيب تذكار الموت عن ذهنه ، ما اسهل أن يفكر فى متع الحياة الدنيا ، و ينشغل بها و يخطئ ٠ مثال ذلك الغنى الغبى الذى ظن أن سيعيش سنين عديدة ، و بدأ يفكر فى أن يهدم مخازنه و يبنى أعظم منها و تزيد خيراته و يتمتع ! (لو ١٢ : ٨ ، ١٩) ٠

✠ ✠ ✠

تذكار الموت موجود بشكل واضح فى صلاة النوم ٠ وكذلك فى باقى الصلوات :

ففى إنجيل هذه الساعة نقرأ أن سمعان الشيخ يقول " الآن يا رب ، اطلق عبدك بسلام حسب قولك " (لو ٢ : ٢٩) ٠ وفى القطع واضح تذكار الدينونة ٠ وايضاً فى القطعة الثانية " لو كان العمر ثابتاً وهذا العالم مؤبداً ، لكان لك يا نفسى حجة واضحة ، ٠٠ "

وفى صلاة باكر – مع أننا فى أول النهار – نصلى فى المزمور ١٢ ونقول " أنر عينى لئلا أنام نوم الوفاة "

وفى صلاة الساعة الثالثة فى مزمور (الرب يرعانى) ، نقول " إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ٠٠ "

و فى الساعة السادسة نتذكر صليب المسيح الذى أبطل الموت بموته ٠ و نناجى القديسة العذراء بقولنا " من قيل صليب إبنك انهبط الجحيم وبطل الموت ٠ أمواتاً كنا ، فنهضنا واستحققنا الحياة الأبدية " ٠

وفى الساعة التاسعة ، تذكار موت المسيح واضح ٠ ونقول فى مزاميرها " ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك ، فإن الرب قد أحسن إلى ٠٠" ٠ وايضاً كريم أمام الرب موت أتقيائة " (مز ١١٦) ٠

وفى صلاة الغروب نذكر الموت أيضاً ، و يناجى المصلى أمنا العذراء ويقول " وعند خروج نفسى من جسدى إحضرى عندى ، و لمؤامرة الأعداء اهزمى ، ولأبواب الجحيم أغلقى ، لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى " ٠

و فى صلاة الستار نذكر يوم الدينونة الرهيب ونقول " يا رب إن دينونتك لمرهوبة ٠ إذ تحشر الناس ، وتقف الملائكة ، و تفتح الأسفار ، و تكشف الأعمال ٠٠ اية إدانة تكون إدانتى أنا المضبوط فى الخطايا ٠ من يطفئ لهيب النار عنى ؟! من يضئ ظلمتى إن لم ترحمنى أنت ؟!

وفى صلاة نصف الليل ، نذكر مجئ المسيح الثانى ، وفى أنجيلها يذكر مثل العذراى الحكيمات و الجاهلات (مت ٢٥) و الاستعداد للقاء الرب ٠ وأن يوم الرب يأتى كلص فى ساعة لا نتوقعها ٠ وطوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده مستيقظا (لو١٢) ٠ لذلك يقول فى الاستعداد للموت " لتكن احقاؤكم ممنطقة و مصابيحكم موقدة و أنتم تشبهون عبيد ينتظرون سيدهم متى يأتى ٠٠ " ٠

✠ ✠ ✠

لاشك أن تذكار الموت مفيد ، ذلك تذكرنا الكنيسة به ٠

وبخاصة فى صلاة النوم ، لأننا نعتبر أن النوم يشبه إلى حد ما الموت من جهة فقد الإنسان لإدراكه ٠ و يسميه البعض بالموت القصير ٠

ومن أهم تذكارات الكنيسة للموت (أوشية الراقدين) ٠ و الصلاة على الموتى ٠ إذ يرى الناس الموت أمامهم ، و يسمعون الصلوات الخاصة به ، وكذلك الألحان الحزينة ، ويتأثرون بكل ذلك ، وبأن الموت هو نهاية لكل حى ، وبداية لحياة أخرى لا تنتهى ٠٠

✠ ✠ ✠

و لا يجوز لى أن أنسى هذه الحقيقة أبداً ٠ إنما يجب أن أستعد لها من الان ٠

إن القديسين الذين وضعوا أمامهم صورة الدينونة باستمرار ، كانوا حريصين جداً فى روحياتهم ٠ أما أهل العالم فكانوا يضعون أمامهم شهوة العالم و الأشياء التى فيه ، فكانت تجذبهم تلك الشهوات إليها ٠٠ أما أولاد الله ، فكانوا يقولون كل ليلة فى صلواتهم " هوذا أنا عتيد أن أقف امام الديان العادل ، مرعوبا و مرتعبا من أجل كثرة خطاياى ٠

✠ ✠ ✠

لذلك –قبل أن أقف أمام الديان العادل – يستحسن أن اقف أمام ضميرى ، وأمام حقيقتى ٠

وما أعمق كلمة القديس مكاريوس الكبير " احكم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك " ٠ لأنك حينما تحكم على نفسك ، تكون أمامك فرصة أن تصلح نفسك ، و تصحح ما فيك من أخطاء ٠ لا تنتظر إلى أن تقف أمام الديان العادل ، بعد فوات الفرصة ، فرصة التوبة و المغفرة ٠٠

هوذا أنا عتيد أن اقف أمام الديان ٠٠ وقفة الخشوع و الهيبة ، بل أيضاً وقفة الخوف ٠ وقفة إنسان ينتظر الحكم عليه ٠

✠ ✠ ✠

لم يقل : اقف أمام المسيح الحنون العطوف الطيب الغفور ، إنما أقف أمام الديان العادل ٠

مسألة " العطوف الغفور " هنا على الأرض ، فى فترة الاختبار التى يمكن فيها أن تتوب ٠ أما فى يوم الدينونة الرهيب ، فإنك تقف أمام الديان العادل ٠ ليس أمام الرب الذى " لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا " الذى كبعد المشرق عن المغرب ، ابعد عنا معاصينا " (مز ١٠٣ : ١٠ ، ١٢) ٠٠ كل هذا قيل عن فترة إمكانية التوبة ٠٠ أما فى ذلك اليوم ، فسوف تقف كل أعمالنا أمامنا – أقصد كل ما لم نقدم عنه توبة فى حياتنا الأرضية – نعم تقف أمامنا كل أعمالنا لا تبرح و لا تختفى ٠

✠ ✠ ✠

تقول هذه العبارة فى صلاة النوم ، وأمامك كل اعمالك أثناء النهار ٠

تحاسب نفسك عليها ، و تقدم عنها توبة قبل أن تنام ٠٠ كما تقدم توبة آخرى عن أعمالك فى الأيام السابقة ٠٠

و هذا يوافق ما نقوله ايضاً فى تحليل صلاة النوم " يا رب جميع ما أخطأنا به إليك فى هذا اليوم : إن كان بالفعل أو القول أو بالفكر أو بجميع الحواس ، فاصفح واغفر لنا من أجل إسمك القدوس كصالح ومحب للبشر " ٠ نطلب المغفرة عن كل أخطانا ٠ نحاول أن نضعها أمامنا لكى بالتوبة يمحوها الرب بدمه الكريم

✠ ✠ ✠

هناك عبارات قالها الرب فى فترة تجسده ، لا تقال فى يوم الدينونة الرهيب ، بعد أن يغلق الباب (مت ٢٥ : ١٠ – ١٢) ٠

مثال ذلك قوله للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل " و لا أنا أدينك " (يو ٨ : ١١) وقوله للتى مسحت قدميه بشعر رأسها " مغفورة لك خطاياك ٠٠ اذهبى بسلام " (لو ٧ : ٤٨ ، ٥٠) ٠ وقوله " اما أنا فلست أدين أحداً " (يو ٨ : ١٥) أو عبارة " لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ، ليدين العالم ، بل ليخلص به العالم " (يو ٣ : ١٧) ٠

كل هذا عن فترة تجسده ، وفترة إمكانية التوبة بالنسبة إلى البشر

أما أمام الديان العادل ، فلا يوجد شفيع ، و لا يوجد حل ، إنما يوجد قضاء و حكم ٠٠

✠ ✠ ✠

هنا على الأرض نتشفع بالقديسين ٠ أما فى ذلك اليوم ، فلا توجد شفاعة ٠ أنظروا ما قاله أبونا ابراهيم للرجل الغنى "اذكرانك استوفيت خيراتك على الأرض ، ولعازر البلايا ٠٠ و فوق هذا كله بيننا و بينكم هوة عظيمة قد أثبتت ٠٠ الذين يريدون العبور من هنا إليكم لا يقدرون ٠ و لا الذين من هناك يجتازون إلينا " (لو ١٦ : ٢٥ ، ٢٦)

✠ ✠ ✠

يا أخوتى ، مخيفة ورهيبة تلك الساعة ، التى قال عنها الرسول " مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى " (عب ١٠ ك ٣١) ٠

حينما نقف أمام الديان ٠ وأى ديان ؟ أمام الديان العادل ، الذى قيل عنه أنه يجازى كل واحد بحسب أعماله (مت ١٦ : ٢٧) (رؤ٢٢ : ١٢) ٠ و كما قال القديس بولس الرسول " لأنه لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسى المسيح ، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع : خيرا كان أم شراً " (٢كو ٥ : ١٠) ٠ لهذا يقول المصلى فى صلاة النوم " هوذا أنا أعتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوبا و مرتعداً من أجل كثرة ذنوبى " ٠٠

✠ ✠ ✠

هنا على الأرض نقول " كرحمتك يا رب و لا كخطايا " ٠ إذ يوجد مجال للرحمة ، لأنه يوجد مجال للتوبة ٠ أما فى ذلك اليوم فتوجد دينونة على كلمة بطالة تخرج من أفواهكم " (مت ١٢ : ٣٦) ٠

توجد أمامنا الآية التى تقول " من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم " (مت ٥ : ٢٢) ٠ و أيضاً عبارة " بكلامك تتبرر ، و بكلامك تدان " (مت ١٢ : ٣٧) ٠٠ إذن ليست الدينونة هى فقط عن الخطايا البشعة ، إنما على ما نظنها بسيطة أيضاً ٠

إن كانت الدينونة هكذا خطيرة ، فاعمل على محو ذنوبك بالتوبة ٠

واعمل اعمال رحمة كثيرة تقف إلى جوارك فى ذلك اليوم ٠ إذ ان الرب قد قال " طوبى للرحماء فإنهم يرحمون " (مت ٥ : ٧) ٠

اصنع لك أصدقاء من مال الظلم (لو ١٦ : ٩) و اكنز لك كنوزاً فى السماء (مت ٦ : ٢٠) تجدها هناك

✠ ✠ ✠

و لماذا تقف مرعوبا و مرتعداً أمام الديان العادل ؟

تقول " من اجل كثرة ذنوبى " ٠٠ ليتك تتخلص من هذه الذنوب و أنت هنا على الأرض ٠ ليت ضميرك لا يبكتك على شئ قبل أن تقف امام الديان العادل ٠ استمع بكل قلبك إلى قول الرسول " اصطلحوا مع الله "

(٢كو٥ : ٢٠) ٠ هوذا القديس يوحنا الرسول يقول " إن لم تلمنا قلوبنا ، فلنا ثقة من نحو الله " (١يو ٣ : ٢١) ٠ فهل قلبك يلومك على شئ ؟ إذن اسرع و تخلص منها ٠٠ الآن توجد فرصة ، تنال فيها الحل و المغفرة ٠ أما فى ذلك اليوم ، فلا حل ولا مغفرة ، لأنه قد اغلق الباب ٠ وكما قيل عن إيزابل فى سفر الرؤيا : "اعطيتها زماناً لكى تتوب ٠٠ ولم تتب " (رؤ ٢ : ٢١) ٠

✠ ✠ ✠

أتقف مرعوباً من أجل كثرة ذنوبك ؟ هوذا الله قد أعطاك وعداً بمحو هذه الذنوب ، إن رجعت إليه ٠

إنه يقول " ارجعوا إلى ، ارجع اليكم " (ملا ٣ : ٧) ٠ فارجع إذن اليه ٠ و إذا رجعت إليه ماذا يحدث ؟ إنه يقول عمن يرجع عن خطاياه " حياة يحيا ، لا يموت ٠ وكل معاصية التى فعلها ، لا تذكر عليه " (حز ١٨ : ٢١ ، ٢٢) ٠

ويقول الرب فى سفر ارميا عن التائبين " لأنى اصفح عن إثمهم ، و لا اذكر خطيتهم بعد " (ار ٣١ : ٣٤) ٠ إذن سوف لا تجد فى يوم الدينونة هذه الذنوب التى لم يعد الله يذكرها ٠ و كما قيل فى المزمور " طوبى للذى غفر إثمه و سترت خطيته ٠ طوبى لإنسان لا يحسب له الرب خطية " (مز ٣٢ : ١ ، ٢) ٠

و لقد سر بولس الرسول بهذه العبارة من المزمور ، فاستشهد بها فى رسالته إلى أهل رومية (رو ٤ : ٧ ، ٨) ٠ حقا ما أجمل عبارة " لا يحسب له الرب خطية " ٠ لذلك يستخدمها الرسول فى المصالحة مع الله ، فيقول " غير حاسب لهم خطاياهم " (٢كو ٥ : ١٩) ٠

فى يوم الدينونة لا نتجادل مع الله ، بل " يستد كل فم ط (رو ٣ : ١٩) ٠ لكنه هو يمحو خطايانا بدمه ، التوبة ٠ أنا اعرف أنه يقال فى صلاة الستار " يا رب إن دينونتك لمرهوبة ، إذ يجتمع الناس ، و تقف الملائكة و تفتح الأسفار ، و تنكشف الأعمال ، و تفحص الأفكار ٠ أية إدانه تكون إداتنى أنا المضبوط بالخطايا ٠٠ " هذه الأسفار هى الكتب التى سجلت فيها أعمالنا ٠ وفيها حصاد ما قد زر عناه على الأرض وكما يقول الكتاب " ما يزرعه الإنسان ، اياه يحصد أيضاً ٠ لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً ٠ و من يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية " (غل ٦ : ٧ ، ٨)

يوم الدينونة هو يوم الحصاد ٠ فهل زرعت للجسد أم للروح ، حتى تحصد نتاج زرعك حينما تقف أمام الديان العادل ؟ و لكن اسمع هذه الاية المعزية :

✠ ✠ ✠

"لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو ٨ : ١)

إذن إن كنت المسيح يسوع ، و كنت تسلك حسب الروح و ليس حسب الجسد ، فلن تخاف حينما تقف أمام الديان العادل ٠٠ و سوف لا يكتب إسمك فى اسفار الخاطئين ، بل فى سفر الحياة فهوذا القديس يوحنا الحبيب يقول فى سفر الرؤيا " ورأيت الموات صغاراً و كباراً واقفين امام الله ٠ و انفتحت أسفار ٠ و انفتح سفر آخر هو سفر الحياة ٠ و دين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم ٠٠ دينوا كل واحد بحسب أعماله ٠٠ وكل من لم يوجد مكتوبا فى سفر الحياة ، طرح من بحيرة النار " (رؤ ٢٠ : ١٢ – ١٥)

✠ ✠ ✠

بحيرة النار هى الرعب الذى يرتعش منه الخطاة ٠ و ايضاً الخجل و العار أمام الملائكة و القديسين وسائر البشر ٠

أحباؤك يندهشون جداً حينما تنكشف أمامهم خطاياك ٠ و أعداؤك يشتمون ٠٠ يقولون : أين كان مخفيا هذا كله ، مما لم نكن نعرفه عنك ؟ أكان مخفيا تحت ثوب من الرياء كالقبور المبيضة ، تظهر من الخارج جميلة ، و هى من الداخل مملوءة عظام أموات و كل نجاسة (مت ٢٣ : ٢٧) ٠

✠ ✠ ✠

حقا هو يوم رهيب ، يوم الوقوف أمام الديان العادل ٠

بل مجرد يوم مجيئه للدينونة ، يقول فى ذلك القديس يوحنا الرائى : " ٠٠ وملـــوك الأرض و العظمـــاء و الأغنياء و الأمراء و الأقوياء ، و كل عبد و كل حر ، أخفوا أنفسهم فى المغاير و فى صخور الجبال ٠ و هم يقولون للجبال و للصخور اسقطى علينا و اخفينا عن وجه الجالس على العرش و عن غضب الحمل ٠ لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ٠ ومن يستطيع الوقوف ؟!

✠ ✠ ✠

ذلك اليوم ايضاً سيكون يوم مقارنة ٠

بين الوقوف على اليمين ، و الوقوف على اليسار ٠ بين الذين يقول لهم الرب " تعالوا يا مبـــاركى أبـــى ، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم " (مت ٢٥ : ٣٤) ، و الذين يقول لهم " اذهبوا عنى يا ملاعـــين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس و ملائكته " (مت ٢٥ : ٤١) ٠

يوم تجتمع فيه أمام الرب جميع الشعوب ، فيميز بعضهم عن بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الداء (مت ٢٥ : ٣٢) ٠٠ يوم تدخل فيه العذارى الحكيمات إلى العرس ٠ بينما تقف الجاهلات خارجاً يتضر عن إلى الرب ن فيقول لهن " الحق أقول لكن إنى لا أعرفكن " (مت ٢٣٥ : ١٢) ٠

لذلك يقول المصلى فى صلاة النوم :

هوذا أنا أعتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوبا و مرتعداً من أجل كثرة ذنوبى ٠

لماذا يقف الإنسان مرعوبا و مرتعبا أمام الديان العادل ٠

لأنه من ضمن العقوبات الطرد من أمام وجه الله ، و الطرد من مجمع البرار ، أو عدم الاستحقاق للتواجـد فيه ٠ عقوبة الطرد بدأت منذ آدم (تك ٣ : ٢٤) ٠ و أخذت صورة أصعب بالنسبة إلى قايين ، الذى قال للرب " أنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، و من و جهك أختفى " (تك ٤ : ١٤) ٠

وفى الأبدية يكون الأمر أصعب حيث يقول الرب : لا أعرفكم ٠

قالها للمتباهين بصنع المعجزات " إنى لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم " (مـــت ٧ : ٢٣) ٠ و قالها للعذارى الجاهلات " الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن " (مت ٢٥ : ١٢) ٠ و قالهـــا لكثيـــرين مـــن الخطاة " إنى لا أعرفكم من أين أنتم ! تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم " (لو ١٣ : ٢٥ ، ٢٧)٠

لذلك قيل إنهم يطرحون خارجاً (لو ١٣ : ٢٨) " فى الظلمة الخارجية " (مت ٨ : ١٢) ٠

"فى الظلمة " لأن الله نور ، والأبرار نور ، وأورشليم السمائية هى مدينـــة منيـــرة (رؤ ٢١ : ٢٣) ٠ و عبارة " الظلمة الخارجية " تعنى أن هؤلاء الخطاة يكونون خارج " مسكن الله مع الناس " (رؤ ٢١ : ٣) ما أصعب حالة هؤلاء المطرودين من الله !!

✠ ✠ ✠

إن الحرمان من الله هو أصعب عقوبة يتعرض لها الخطاة ٠

الحرمان من النعيم الأبدى ٠ الحرمان من عشرة الملائكة و القديسين ٠ و الحرمان من شجرة الحياة ٠ و من إكليل الحياة (رؤ ٢ : ٧ ، ١٠) ٠ و من إكليل البر هذا الذى يهبه أيضاً الديان العادل (٢تى ٤ : ٨) ٠ الحرمان مما أعده الله للذين يحبونه : ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، و لم يخطر على قلببشر (١كو٢ : ٩) ٠٠ الحرمان من الحياة الأبدية و من معرفة الله (يو ١٧ : ٣) ٠

لأجل كل هذا يقف الخاطئ مرعوبا و مرتعداً أمام الديان العادل ٠

لأنه من ضمن العقوبات الطرد من أمام وجه الله ، و الطرد من مجمع الأبرار ، أو عدم الاستحقاق للتواجد فيه ٠ عقوبة الطرد بدأت منذ آدم (تك ٣ : ٢٤) ٠ و أخذت صورة أصعب بالنسبة إلى قايين ، الذى قال للرب " إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى " (تك ٤ : ١٤) ٠

وفى الأبدية يكون الأمر أصعب حيث يقول الرب : لا أعرفكم ٠

قالها للمتباهين بصنع المعجزات " إنى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى افــثم " (مــت ٧ : ٢٣) ٠ و قالها للعذارى الجاهلات " الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن " (مت ٢٥ : ١٢) ٠ و قالهــا لكثيــرين مــن الخطاة " إنى لا أعرفكم من أين أنتم ! تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم " (لو ١٣ ك ٢٥ ، ٢٧) ٠

لذلك قيل إنهم يطرحون خارجاً (لو ١٣ : ٢٨) " فى الظلمة الخارجية " (مت ٨ : ١٢)

" فى الظلمة " لأن الله نور ، والأبرار نور ، و ارشليم السمائية هى مدينة منيــرة (رؤ ٢١ : ٢٣) ٠ و عبارة " الظلمة الخارجية " تعنى أن هؤلاء الخطاة يكونون خارج " مسكن الله مع الناس " (رؤ ٢١ ك ٣) ما اصعب حالة هؤلاء المطرودين من الله !!

✠ ✠ ✠

إن الحرمان من الله هو اصعب عقوبة يتعرض لها الخطاة ٠

الحرمان من النعيم الأبدى ٠ الحرمان من عشرة الملائكة و القديسين ٠ الحرمان من شجرة الحياة ٠ ومن إكليل الحياة (رؤ ٢ : ٧ ، ١٠) ٠ ومن إكليل البر هذا الذى يهبه أيضاً الديان العادل (٢تــى ٤ : ٨) ٠ الحرمان مما أعده الله للذين يحبونه : ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلــب بشــر (١كو ٢ : ٩) ٠٠ الحرمان من الحياة الأبدية ومن معرفة الله (يو ١٧ : ٣) ٠

لأجل كل هذا يقف الخاطئ مرعوباً و مرتعداً أمام الديان العادل ٠

بالإضافة إلى الخوف من العذاب البدى (مت ٢٥ : ٤٦) فى " النار المعدة لإبليس و ملائكته " (مت ٢٥ : ٤١) " حيث البكاء و صرير الأسنان " (مت ٢٤ : ٥١)

و لكن الآن لايزال هناك مجال للنجاة من هذا كله ٠

ان نتوب و نرجع إلى الله ٠ حينئذ لا نقابله بخوف ، بل بفرح ، منصتين إلى وعده الكــريم " أنــا مــاض لأعداكم مكاناً ٠٠ آخذكم إلى ، و حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً " ٠ يو ١٤ : ٢ ، ٣) ٠ نعم ، هناك معه نعيش فى الفرح الذى لا ينتهى ، الذى لا ينزعه احد منا ٠٠

٢

توبى يا نفسى

مادمت فى الأرض ساكنة

وقف المصلى مرعوبا و مرتعباً أمام الديان العادل من أجل كثرة ذنوبه ٠ ثم قال " توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ٠ لأن التراب فى القبر لا يسبح ٠ ليس فى الموتى من يذكر ، و لا فى الجحيم من يشكر بل أنهضى من رقاد الكسل ، و تضرعى إلى المخلص بالتوبة قائلة ك إلهى ارحمنى و خلصنى ٠٠ "

حسن جداً أن يستيقظ الإنسان ويرجع إلى نفسه ٠٠

لأن كثيراً من الناس يقعون فى غفلة ، ولا يدرون ماهم فيه كإنسان يجرفه التيار ، أو تلفه الدوامة ، فلا يحسن بنفسه ٠ وكما قال احد القديسين إن غالبية الخطايا ، يسبقها إما الكسل أو التهاون أو الغفلة ٠ فيعيش الإنسان خارج نفسه ٠ ولذلك حسنا قيل فى توبة الابن الضال غنه " رجع إلى نفسه " (يو ١٥ : ١٧) ٠

هنا الإنسان – فى توبته – يستيقظ ٠ و حبذا لو استيقظ مبكرا ٠

ويقول مع المزمور " أنا اضطجعت و نمت ، ثم استيقظت ، لأنك أنت معى " (مز٣) ٠ نعم طوبى للإنسان الذى يستيقظ مبكراً ٠ فلا يأخذه النوم مدة طويلة من الوقت ٠ يستيقظ ويقول " هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوبا و مرتعداً بسبب كثرة ذنوبى " ٠ و هنا يدرك أنه كما أن الله رحيم ، هو أيضاً عادل ، هو أيضاً ديان ويقول بولس الرسول " هوذا لطف الله و صرامته ٠ أما اللطف فلك إن ثبت فى اللطف ، و إلا فأنت ستقطع " (رو ١١ : ٢٢) ٠ إذن هناك أيضاً صرامة ، يمكن أن تحكم بالقطع ٠٠

✠ ✠ ✠

البعض يشبه علاقة الله مع البشر بالمرآة ٠

قد تنظر إلى المرآة ، فترى ، فترى وجها مبتسماً ٠ وقد تنظر إليها فترى و جها متجهما ٠ و المرآة هى نفس المرآة ٠ ولكنها تعكس الوجه الناظر إليها ٠ و هكذا انت فى حالة البر ، ترى وجه الله القدوس المحب للبر ٠ و فى حالة خطيتك ترى وجه الله القدوس المشمئز من الخطية ٠٠

مثل ملاك الفصح : الذى كان للبعض سبب هلاك ، و للبعض سبب نجاة ، يرى الدم فيعبر عنهم (خر ١٢) –٠

البعض ينظر إلى الملائكة على أنهم رسل رحمة وحنو ٠ و لكنهم أحياناً يكونون رسل دينونة وإهلاك و موت ٠

ملاك القيامة كان للمريمتين سبب فرح ٠ و بالنسبة للجند الحراس ، يقول الإنجيل " فمن خوفه ارتعد الحراس و صاروا كأموات " (مت ٢٨ : ٤) ٠ إذن هناك وقت ينظر فيه الإنسان إلى الملاك فيتعزى ، بينما ينظر إليه فى وقت آخر فيخاف ٠٠ حسب حالة القلب من الداخل ٠٠

الملاك الذى أرسل لمعاقبة داود على خطيته ، بسط يده على أورشليم لمعاقبتها ٠ و ملاك ضرب من جيش سنحاريب ١٨٥) ألفا (٢مل ١٩ : ٣٥) ٠ ملائكة آخرون كانوا للإنقاذ مثل الملاك الذى انقذ بطرس من السجن (أع ١٢ : ٧ ، ٨)

كذلك الرب : فى وقت تتكئ فى حضنه مع يوحنا (يو ١٣ : ٢٥) ٠ و فى وقت آخر يقال " مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى " (عب ١٠ : ٣١) ٠

ومكتوب أيضاً فى نفس هذا الإصحاح " إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، و غيره نار عتيدة أن تأكل المضادين ٠٠ " (عب ١ : ٢٦ ، ٢٧) أيحدث هذا فى عصر النعمة ؟ نعم ، يتابع الرسول كلامه فيقول " ٠٠ كم عقابا أشد ، تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله ، و حسب دم العهد الذى قدس به دنسا ، و إزدرى بروح النعمة ٠٠ لى النقمة ، أنا أجازى ، يقول الرب " (عب ١٠ : ٢٩ ، ٣٠) ٠

✠ ✠ ✠

نقول هذا ، لئلا يظن البعض أن العقوبة كانت موجودة فى العهد القديم ٠ أما العهد الجديد فكله حب ، و لا عقوبة فيه !!

على هؤلاء أن يقرأوا عن الويلات التى حدثت من أبواق الملائكة السبعة كما ذكرها سفر الرؤيا (رؤ ٨ : ٩) ٠ وايضاً ليقرأ عن السبع جامات التى سكبها الملائكة السبعة على الرض و البحر و الهواء (رؤ ١٠) ٠ و ما قيل فى كل تلك الإصحاحات عن غضب الله ٠٠ كلام مخيف ٠

✠ ✠ ✠

بالإضافة الى عقوبات الله ، و عقوبات الأبدية ، هناك عذاب الضمير ٠

قد يحتمل افنسان إهانات و احتقار الاخرين له ٠ ولكن من الصعب عليه أن يحتمل احتقاره لنفسه ٠ لقد ذكر الرب " البكاء و صرير السنان " فى العذاب ألبدى (مت ١٣ : ٤٢) ٠ و لكن لاشك أنه يوجد على الرض ايضاً ، بكاء و صرير أسنان ٠٠ من الندم و تانيب الضمير ، و حسرة الخاطئ بسبب ما قد فعله ، و هو يقول لنفسه : اين كان عقلى و قتذاك ، و اين كان ضميرى ؟!

إننا نقف امام الديان العادل هنا على الأرض ، وكذلك فى السماء

هنا نقف أمامه حينما ندخل فى محاسبة النفس ، و ننسى لذة الخطية و متعة العالم و الجسد و امادة ، بل نرتعب من تذكار ذنوبنا ٠٠ و نلوم أنفسنا و نبكتها ٠ وسعيد هو الإنسان الذى يبكت نفسه هنا ، و تحمى بالتوبة خطاياه ، قبل أن يقف فى اليوم الأخير مرعوبا و مرتعداً ٠٠ و قد صدق القديس مكاريوس الكبير حينما قال " احكم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك " ٠

و فى تبكيت الإنسان لنفسه يقول له " توبى ٠٠ مادمت فى الارض ساكنة " توبى ، لأنه توجد الآن فرصة للتوبة و للمغفرة ٠ قبل أن تسمعى صوت الرب القائل " أعطيتها زمانا لكى تتوب ٠٠ و لم تتب " (رؤ ٢ : ٢١) ٠ صدق الذى قال :

الذين فى الجحيم يشتهون دقيقة واحدة من عمر الأرض يقدمون فيها توبة ٠٠

و لكن فاتت الفرصة ، و ضاعت فترة التوبة ، مهما صرخوا و قالوا : يا ربنا يا ربنا ، افتح لنا " (مت ٢٥ : ١١) فيجيبهم " اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم " (مت ٧ : ٢٣) " الحق أقول لكم إنى لم أعرفكم قط " (مت ٢٥ : ١٢) (مت ٧ : ٢٣) ٠

✠ ✠ ✠

إذن توبى يا نفسى ، مادمت فى الأرض ساكنة ٠

مادام باب التوبة لا يزال حتى الان مفتوحاً ن قبل أن يغلق بعد الموت ٠ إن القديس مارافرام يقول " الويل للمتوانى الذى سيطلب الزمان الذى أضاعه عبثا ٠٠ اجتهد فى هذه الساعة الحادية عشرة قبل أن ينتهى النهار ٠٠ فأغنم يومك هذا ، قبل أن ينطلق ، قبل أن يهرب منك ٠٠" ٠

إن اليوم الذى يضيع من حياتك ، لا تستطيع أن تسترجعه ٠

قد تحزن عليه ، وقد تقدم عنه توبة ٠ ولكنك لا تستطيع أن تستريجه ٠ لقد انتهى ٠ فحاول ان تعمل إذن لأبديتك فى هذا اليوم الذى تعيشه قبل أن يفلت منك ، ويصبح أمساً لا عودة له ٠ أتذكر أننى قلت مرة :

ما حياتى غير أمس ضائع .:. كلها امس إذا طال الأمذ
إن يومى هو أمس فى غد .:. وغدى يصبح أمسا بعد غد

✠ ✠ ✠

أخشى أن كثيراً من الأبرار فينا : يقضون نصف العمر فى الخطايا ، و النصف ألاخر فى البكاء عليها !!

أو يقضون النهار فى ارتكاب الخطايا ، و الليل فى البكاء عليها ٠٠ أما المحزن حقا ، فهو أن يقضى الناس و قتهم فى ارتكاب الخطايا ، و لا يجدون وقتا للبكاء عليها ٠٠ ! وقد لا يجدون وقتا للندم على خطاياهم ، و من انشغالهم بعد ذلك فى ارتكاب خطايا أخرى !!
وأنت ، تراك من أى نوع ؟ هل من النوع الذى يبكى على خطاياه فى صلاة النوم ؟ ليتك تبكت ذاتك فى صلاة النوم ، كل يوم ٠٠

✠ ✠ ✠

هناك إنسان لا يبكت نفسه على خطاياه ، لأنه بار فى عينى نفسه !

لا يعرف لنفسه خطية يبكت ذاته عليها !! يقول ماذا فعلت ؟! غالبا مثل هذا الإنسان مقاييسه الروحية غير سليمة ، و محاسبته لنفسه غير دقيقة ، أو هو من النوع الذى يجامل نفسه ، ويعذرها ويبررها فى كل ما تفعله ٠٠ أما أنت فلا تكن هكذا ٠ و عليك أن تحيا حياة التدقيق ، و تبكت نفسك على كل عمل خاطئ ، و كل فكر منحرف ، و كل كلمة بطالة ، و كل شهوة لا تليق ٠٠

✠ ✠ ✠

اذكر كيف كان داود النبى فى كل ليلة يبلل فراشه بدموعه (مز ٦) ٠ و كرر تلك العبارة التى نقولها فى الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل : " **اعطنى يا رب ينابيع دموع كثيرة ، كما أعطيت فى القديم للمرأة الخاطئة** ٠

و بعض الرهبان يصلونها هكذا : " إعطنى يا رب توبة نقية ، إعطنى يا رب غفران خطية ، إعطنى يا رب ينابيع دموع كثيرة سخية ، كما أعطيت فى القديم للمرأة الخاطئة " ٠٠ و البعض يلى هذه الصلاة بتفاصيل كثيرة فيقول " اعطنى يا رب ينابيع دموع كثيرة لأبكى على كذا " ويظل يسرد تفاصيل خطاياه و تقصيراته طالباً عن كل منها ينابيع دموع كثيرة ٠٠

✠ ✠ ✠

و لكننا يا أخوتى ، نريد أن ندلل انفسنا ، و نقول لماذا نحزن ذواتنا بذكر خطايانا ٠ و نفضل أن نقضى لياليا فى متعة !!

بينما يقول ماراسحق " الليل مفرز لعمل الصلاة " ٠ ويقول المرتل فى المزمور " فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب " (مز ١٣٤) ٠ أين هى لياليا المقدسة التى نقضيها فى الصلاة و التأمل و التوبة ، و نقول فيها " توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ٠٠ "

إن كنتى لن تتوبى فى القديم ، فتوبى الان ، ولو مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، ولو فى آخر ساعات الحياة كما فعل اللص اليمين ٠٠ فالوقت وقت مقبول (٢كو ٦ : ٢) ٠

اطلب التوبة قبل أن يطبك الموت

إن كانت قد ضاعت منك ساعات النهار ، و عطلتك مشاغل كثيرة ، فلا تدع ساعات الليل تضيع منك ٠ استغل بعضا منها فى الصلح مع الله ٠٠ اطلب التوبة قبل أن يستغل الشيطان تهاونك و يقيدك أكثر فأكثر ٠ واعرف أن الإنسان الذى يؤجل التوبة ، إنما يعطى فرصة للخطية لكى تتعمق فى حياته ٠ فتتحول العثرة إلى سقطة ، و السقطة إلى عادة ، ثم إلى طبع !

لا تؤجل التوبة ٠ لأنك لا تضمن أن تستمر زيارة النعمة التى معك ألان ٠٠

لا تضمن رغبتك الحالية فى التوبة هل ستبقى أم ستفنى ؟ ولا تضمن بقاء الفرص التى قدمها لك الله ٠ كذلك أنت لا تدرى ما يقدمه لك عدو الخير من الحروب ، إن رأى تهاوناً منك فى التوبة ٠ تذكر أن فيلكس الوالى لما ارتعد من حديث القديس بولس عن البرو الدينونة و التعفف ، ولم ينتهز الفرصة للتوبة ، بل قال للرسول القديس " اذهب الان ٠ و متى حصلت على وقت استدعيك " (أع ٢٤ : ٢٥) ، لم يقل الكتاب إنه حصل على وقت !!
كذلك لما تاثر أغريباس الملك ، وقال للقديس بولس " بقليل تقنعنى أن أصير مسيحيا " (أع ٢٦ : ٢٨) ٠ ولم يستغل أغريباس الفرصة ، ضاعت منه ٠٠

فلا تقل إذن لزيارة النعمة : اذهبى الآن إلى أن يحصل لة وقت ٠٠

لا تكن مثل فيلكس واغريباس ٠ و لا تكن مثل النبات الذى طلع قليلا ثم خنقه الشوك ، و لا مثل البذار التى التقطها الطير (مت ١٣ : ٤ ، ٧) ٠ و لا تكن مثل العذارى الجاهلات اللائى ذهبن متأخرات لشراء الزيت (مت ٢٥ : ١٠) ٠

✠ ✠ ✠

يكفى الزمان الذى مضى ٠ فلا تزد عدد خطاياك ٠

من الجائز أن يجلس إنسان على نفسه ليحاسبها ، فيرى أنه ارتكب عدداً من الخطايا : لو وزعت على اهل العالم كله ، لصبح كل منهم خاطئا! ولو وزعت أفكاره الشريرة عليهم لتنجس الكل !!
لا تقل أنا صغير ، و حينما اكبر ساتوب ٠ وربما حينما تكبر ، تصبح التوبة صعبة عليك ، من فرط تعودك عليها وارتباطك بها و جريانها فى دمك ٠ كما ان توبة الشيخوخة قد تكون رخيصة ٠ لذلك قال الكتاب " اذكر خالقك فى أيام شبابك ٠٠ " (جا ١٢ : ١) ٠ ويكون جسدك قد ضعف ، و لست انت الذى انتصرت عليه ٠ لا تقل مثالى هو اللص اليمين ! لا تضمن ، فقد يكون مصيرك كاللص الآخر الذى كان وهو فى ساعات الموت يجدف على المسيح (لو ٢٣ : ٣٩ – ٤١)

✠ ✠ ✠

عندما تقول توبى يا نفسى ، حول ذلك إلى توبة عملية ٠

لا تجعلها مجرد فكرة أو رغبة ٠ فالابن الضال عندما قال " أقوم الآن وأذهب إلى أبى " قام مباشرة و ذهب إلى أبية (لو ١٥ : ١٨ ، ٢٠)٠ يقول المصلى لنفسه : توبى قبل الموت ٠ لماذا ؟

لأن التراب فى القبر لا يسبح ٠ ليس فى الموت من يذكر ، و لا فى الجحيم من يشكر ٠

بهذه الآية يمكن الرد على المشتغلين بعلم الأرواح الذين ينادون بأنه توجد توبة بعد الموت !! نرد أيضاً بقول الكتاب فى مثل العذراى " و اغلق الباب " (مت ٢٥ : ١٠) ٠ وبقول السيد المسيح لليهود غير المؤمنين به " تموتون فى خطاياكم ٠ و حيث أمضى أن لا تقدرون أنتم أن تأتوا " (يو ٨ : ٢١) ٠ وايضاً قول أبينا ابراهيم لغنى لعازر " بيننا و بينكم هوة عظيمة قد اثبتت ٠ حتى الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ٠ و لا الذين من هناك يجتازون إلينا " (لو ١٦ : ٢٦) ٠

لذلك ينبغى التوبة من الآن ٠٠

ونحن فى الجسد ، وفى العالم المادى ٠ ننتصر على الجسد قبل أن نخلعه ٠ حتى إذا ما خلعناه بالموت نخلع جسداً تائبا ٠ متذكرين قول الرسول " لأنه لابد أننا جميعا ، نظهر أمام كرسى المسيح ، لينـــال كـــل واحد ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع خيراً أم شراً " (٢كو ٥ : ١٠) ٠

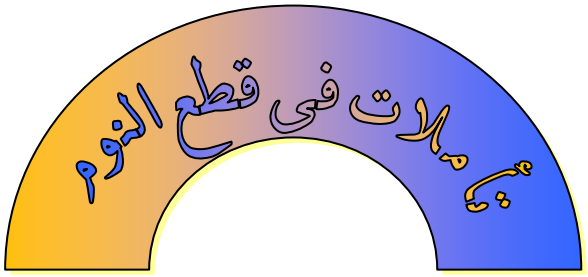

٣

توبى يا نفسى

إنهضى من رقاد الكسل

كل إنسان يقول لنفسه " توبى " ٠ فالتوبة للكل ، وليست فقط للمبتدئين فى حياة الروح

ليس إنسان بلا خطية ، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض ٠ إنما تختلف نسبة و نوعية الخطية ٠ يقول " توبى يا نفسى ، لأن نفسه هى السبب فى الخطية ، مهما كانت الأسباب الخارجية ٠ لأن هذه الأسباب إن لم تخضع لها النفس فلا تخطئ ٠

حسنا أن يدعو الإنسان نفسه على التوبة ، قبل أن يدعوه الناس إلى ذلك ٠

لاشك أن الدافع الداخلى هى الأقوى و الأفضل ٠ لأن الذى ليس له هذا الدافع الداخلى ، وربما يتعب معه المرشدون والآباء الروحيون ٠ و على رأى المثل العامى (اللى ما يجيش من نفسه ، سواقه تعبان ٠

✠ ✠ ✠

هناك أسباب كثيرة تجعل الإنسان يقول لنفسه : توبى ٠

يوجد إنسان محبته لله عميقة جداً ٠ و قلبه بلتهب بالنار إذا أخطأ و ضميره يبكته بشدة ، فيقول لنفسه توبى ٠ وإنسان آخر حطمته الخطية ، و تعب من نتائجها الرديئة ومن المصائب التى جرتها عليه ، فيقول : توبى يا نفسى ٠ وإنسان آخر يتعبه مرض خطير أو تتعبه مشاكل معقدة ، فيلجأ إلى الله ليصطلح معه ن ويقول لنفسه توبى ، خوفاً من أن يكون الله قد تخلى عنه بسبب خطاياه ، فأحاطت به الضيقات ٠
وإنسان أتته الفرصة أن يجلس إلى نفسه يحاسبها ، فوجد أنه فى الموازين إلى فوق ، فيقول توبى يا نفسى ٠٠

✠ ✠ ✠

يحتاج الإنسان أن يكره الخطية ، لكى يتوب ٠

اما الإنسان الملتذ بالخطية ، فليس فى نيته أيقول " توبى يا نفسى " ، لأنه لا يريد أن يتوب !! كذلك الإنسان الذى لم يقتنع بعد بأنه فى وضع خاطئ ٠ لذلك يحتاج ان يعدل موازينه وقيمه ، بترك ما هوفيه ٠

فيقول " توبى يا نفسى " ٠٠ توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ٠

لأن التراب فى القبر لا يسبح ٠ ليس فى الموتى من يذكر ، و لا فى الجحيم من يشكر ٠ فالإنسان بعدما يدخل جسده إلى القبر ، ويتحول على تراب ن ليس من المعقول أن يسبح الله ٠ وإن كانت نفسه الخاطئة قد ذهبت على الجحيم ، فلن تشكر هناك ، وليس أمامها مجال للتوبة بعد مفارقتها للجسد ٠ لذلك يقول لها

✠ ✠ ✠

إنهضى من رقاد الكسل ، و تضرعى للمخلص بالتوبة ٠

الشخص الروحى باستمرار حواسه مستيقظة ، وأفكاره منتبهة لله ٠ يرقب كل شئ بوضوح ٠ واخذ باله من نفسه ٠ أما الخاطئ فهو متهاون من جهة خلاص نفسه ، يحتاج أن ينهض من رقاد الكسل ، من الغفلة التى هو فيها ٠

✠ ✠ ✠

رقاد الكسل هذا يشمل الجسد و الروح كليهما : الجسد كسلان لا يسهر فى الصلاة ٠ و الروح أيضاً كسلانة و متهاونة ٠ لذلك يدعونا الرب إلى السهر ويقول : " لتكن احقاؤكم ممنطقة ، وسرجكم موقدة ٠ " (لو ١٢ : ٣٥ ، ٣٦) ٠ لذلك يقول بعدها " طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين " (لو ١٢ : ٣٦) ٠ ويقول أيضاً : **لئلا يأتى بغتة ، فيجدهم نياماً** " (مر ١٣ : ٣٦) ٠

من جهة الجسد ، كان آباؤنا يسهرون الليل كله فى الصلاة ، كما كان يفعل القديس أرسانيوس ٠٠ و كما يقال فى أحد مزامير صلاة النوم " فى الليالى ارفعوا أيديكم ايها القديسون وباركوا الرب " (مز ١٣٣)

ومن جهة الروح ، يلزمنا السهر الروحى) ٠ فعلينا أن تكون أرواحنا متيقظة ، لا تسمح لأى فكر خاطئ أن يدخل إليها ٠٠

و لا يستطيع إنسان أن يعتذر بعدم قدرته على السهر فى الصلاة لأنه كثيراً ما يسهر فى أحاديث تستهويه ، أو فى برنامج تلفزيونى يجذبه ٠ أو يسهر فى الاستعداد لإمتحان ، أو فى بحث مشكلة ما ٠٠ إن السيد الرب قد وبخ تلاميذ قائلا : أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة و احدة ؟! (مت ٢٦ : ٤٠) ٠ إنه تأنيب لنا جميعاً ٠

✠ ✠ ✠

و السهر ليس معناه أن يستيقظ الإنسان ، ولو فى أحاديث باطلة ، إنما المقصود أن يسهر فى عمل روحى

كما قال الرب لتلاميذ " أت تسهروا معى ٠٠ " ٠ يا ليتكم إذن تستطيعون أن تحفظوا مزامير و صلوات ، تستطيعون أن تصلوا بها فى الليل ، ولو فى الظلام ، دون أن يلاحظكم أحد ٠٠ إن كان أحد يتفادى أن يراه أقرباؤه ممسكاً بأجبية تصلى ٠

إن تدريب " تمضية الليل كله فى الصلاة " ، هو تدريب خاص بالقديسين ٠ و كان يمارسه الاباء الرهبان ٠ أما بالنسبة إليك ، فعلى الأقل تقضى فى الصلاة ما تستطيعه من الليل ٠ و لا تكن كأهل العالم الذين يقضون الليل فى اللهو و العبث ٠٠ و صدق أحد ألاباء حينما قال عن العمل الروحى :

من يكسب صداقة الليل ، يمكنه أن يقضى النهار حسنا مع الله ٠

اى أن ما يختزنه من تأملات وأفكار روحية فى الليل ، تصحبه كل هذه بالنهار ، و تنقذه من حروب الخلطة مع الناس و الإنشغال فى الماديات ٠

فكروا معى يا أخوتى : كيف نقضى لياليا مع الله ؟ و هل يوجد من هو ألذ من المسيح فى لياليكم ٠ وما الثمر الذى تجنونه من كل ليلة ؟ و هل لياليا للجسد أم للروح ؟ **و لا شك أنه حسب قضاء الليل تكون أحلام الليل ايضاً** ٠٠ أمران أمامنا يجب أن نتفادى كل منهما : رقاد الكسل ، و السهر الخاطئ ٠ وفى السهر الخاطئ ، ورقاد للروح ٠ فانهضى يا نفسى من رقاد الكسل ، و تضرعى للمخلص بالتوبة ما أجمل أن نتذكر قول داود النبى ، رجل الصلاة :

" أنى لا أدخل إلى مسكن بيتى ، و لا أصعد على سرير فراشى ، و لا أعطى لعينى نوماً ٠٠ على أن أجد موضعا للرب و مسكنا لإله يعقوب " (مز ١٣١) ٠

فهل أنت هكذا لا تعطى لعينيك نوماً ، إلا أن أوجدت للرب موضعاً فى قلبك ، وفى قلوب النـــاس أيضـــاً ؟ حاول أن تفعل هكذا ٠ سواء السهر فى الصلاة ، أو السهر فى الخدمة ، أو فى كليهما ٠ و لا تترك نفسك لعبث الليل و ملاهيه ٠

✠ ✠ ✠

إننى حزين على الليل الذى ضاعت سمعته ، واصبح مجالاً للمغنين و المغنيات ، و للر اقصين و الراقصات حتى ان عبارة (النوادى الليلية) Night Clubs أصبحت إسما سيئا يسيطر عليـــه الشـــيطان ٠ و مـــن يتردد على هذه النوادى ، تسوء سمعته ٠٠

لذلك فالقديسون الذين يعيدون لليل كرامته ، و يضمونه إلى ملكوت الله ، لا ينســـى لهـــم الـــرب تعـــبهم وسهرهم وصلواتهم ٠٠ هؤلاء الذين يرون الناس نائمين فى الليل نهضت لأشكرك على أحكام عـــدلك " " سبقت عيناى وقت السحر ، لأتلو فى جميع أقوالك " " كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات ألسحار كنت أرتل لك " (مز ١١٩)

✠ ✠ ✠

نعم يا أخى ، إن كان العالم قد اشترى منك النهار ، وأعطاك ثمنه و ظيفة و مرتباً ، فإنه يبقى لـــك الليـــل تقضيه مع الله ٠ لا تمنعك عنه المشاغل التى أخذت منك وقتك بالنهار ٠٠ هذا الليل فـــى هدوئـــه و فـــى صفاته ، وفى بعده عن الخلطة وعن المعطلات ، هو مجال طيب لعلاقة مع الله ، تتبثه أشواقك ، و تعتـــذر فيه عما شغلك عنه بالنهار ٠٠ و لا عذر لك بالليل ، إن تكاسلت عن الوجود فى حضرة الله وإن تكاســـلت نفسك ، واعتذرت بالتعب أو الرغبة فى النوم ، وبخها قائلا لها " انهضى من رقاد الكســـل ، و تضـــرعى للمخلص بالتوبة ٠٠ " ٠

✠ ✠ ✠

صادق الليل ، الذى يشتهى صداقتك مقدما لك هدوءه ٠

و مقاما لك بعدهن ضوضواء العالم و ضجيجه ، وبعده عن الذين يعكرون صـــفو هـــدوئك باللقـــاءات و الأحاديث ٠٠ لا تضيع ثلث حياتك نوماً ٠ إنما قطع الليل بالصلاة ٠ وحتى إن صعدت إلى فراشك ، قدســـه بالمزامير و بالصلوات بالأفكار الروحية ، حتى يكون نومك طاهراً ، و المض جع مقدساً ٠ وصلواتك فى الليل تغرس فى عقلك الباطن أفكاراً مقدسه، تغذى روحك و تعينك فى محارباتك ٠ ٠

و كما يكون الله آخر من تتحدث إليه قبل نومك فى الليل ، يكون الله ايضاً أول من تتحـــدث إليـــه حينمـــا تستيقظ فى النهار ٠ فيكون هو البداية و النهاية فى كل يوم من ايامك ٠

ما أكثر ما نعاتب الله كأنه لم يعطنا ٠ وما أقل أن نعاتب أنفسنا ، لأننا لم نعط الله ما يجب من وقتنا ٠٠

لا تتم أكثر مما يحتاج جسدك ٠ فالنوم الكثير يتعب جسدك بالخمول ، و يتعب روحك أيضاً فى حرمانها من وقت يمكن أن يكون مع الله ، لفائدتك ٠٠ أما اليقظة فتعطيك نشاطاً و حركة ٠٠ ليتكلم حينمـــا ترجعـــون الليلة إلى بيوتكم ، تضعون أمامكم قول الرب " أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة " (مت ٢٦ : ٤٠) ٠ و كلما تكسل نفسك فى عملها الروحى ، وبخها قائلا " انهضى من رقاد الكسل ، و تضرعى ٠٠ "

✠ ✠ ✠

لا تترك نفسك فى دوامة : ليل يسلمها إلى نهار ، ونهار يسلمها إلى ليل ، وكأنها فى غيبوبة أو فى غفلة ، لا تدرى ما هى فيه ٠ كمن هو فى دوامة ، تلفه الأمواج و تسحبه معها إلى أسفل ٠٠ وإن حدث وأخذك النوم ، قل لنفسك " أنا أضجعت و نمت ، ثم استيقظت لأن الرب معى " (مز ٣) ٠ و قل " انا اســـتيقظت مبكراً " ٠٠

قم من نومك ، كما قامت العذارى الحكيمات ٠

مصباحك فى يدك ، وهو مملوء زيتاً ٠ و الزيت يرمز إلى الروح القـــدس ٠ واســـهر منتظـــراً العـــريس السمائى ٠ لأنك لا تعرف متى ياتى : أمساء ، أم نصف الليل ، أم صياح الديك ، أم صباحاً " (مـــر ١٣ : ٣٥) ٠ فكن مستيقظا باستمرار للقاء الرب ٠

✠ ✠ ✠

فحينما تطلب من نفسك أن تنهض من رقاد الكسل لتكن هذه دعوة دائمة تستمر مدى الحياة ٠

فى الواقع عن الكسل فى الحياة الروحية ، إنما يضيع حياة الإنسان ٠ مثلما وبخ الرب الذى دفن وزنته فى التراب ، و لم يتاجر بها ويربح ٠ فقال له الرب " ايها العبد الشرير و الكسلان ٠٠ " (مت ٢٥ : ٢٦) ٠ فهذا الذى لم يربح بوزنته ، اعتبر شريراً و كسلاناً ٠٠

عليك إذن أن تربح روحيات لنفسك ، و تربح نفوساً للمسيح ٠

و تربح نمواً لك و للكنيسة ٠٠ و توبخ نفسك كلما تكسل ، و لا تقبل منها أعذراً فى ذلك مثلما قال الكسلان " الأسد فى الطريق ، الشبل فى الشوارع " (أم ٢٦ : ١٣) ٠٠ كل العذار يمكنك أن تنتصر عليها ، إن كانت رغبة صادقة فى الحياة مع الله ٠٠

✠ ✠ ✠

عن الشيطان يمكن أن يحاربك بمخاوف كثيرة ، ويقدم لك تبريرات للكسل ٠ فلا تسمع له ٠٠ واعرف أن أولاد الله ينبغى ان يكونوا شجعاناً ، مثلما قيل عن حراس عرش سليمان إنهم جبابرة " كلهم قابضون على سيوفهم ٠ و متعلمون الحرب ٠ كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل " (نش ٣ : ٧ ، ٨) ٠

أولاد الله يكونون دائما " حارين فى الروح " (رو ١٢ : ١١) ٠

و أنهم " غير متكاسلين فى الإجتهاد " ٠ و كما قال لهم الرسول " كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ٠ عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب " (١كو ١٥ : ٥٨) ٠

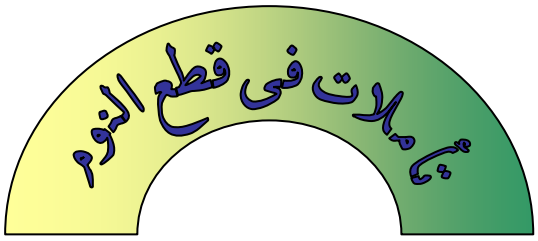

٤

أيتها العذراء الطاهرة

أيتها العذراء الطاهرة :

أسيلى ظلك السريع المعونة على عبدك

أهى صلاة أم إستشفاع ؟

غير الأرثوذكس ، الذين لا يتشفعون بالعذراء القديسة مريم ، لا يصلون هذه القطعة و أمثالها فى الجبية ، ظانين أنها صلاة موجهة إلى القديسة العذراء ، بينما الصلاة هى لله وحده !
و لكننا لا نصلى أبداً إلى العذراء مريم ٠ وإنما أثناء صلاتنا لله ، نتحدث إليها ، طالبين معونتها ٠ و هـذا الأمر مألوف جداً فى الكتاب المقدس ٠ و بخاصة فى مزامير داود

✠ ✠ ✠

١ – أثناء صلاة داود فى المزامير ، يتجه إلى نفسه و يخاطبها :

فيقول فى صلاته : " باركى يا نفسى الرب ، وكل ما فى باطنى فليبارك اسمه القدوس ٠ باركى يا نفسـى الرب ، و لا تنسى كل حسناته " (مز ١٠٣ : ١ ، ٢) ٠
وهو يخاطب نفسه أثناء صلاته فى (مز ٤٢ : ٥) ويقول " لماذا أنت حزينة يا نفسى ؟ لماذا تزعجيننى ؟ توكلى على الله ٠٠ "
ويقول لنفسه فى مزمور آخر " ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك ، فغن الرب قد أحسن إلى " مز ١١٦ : ٧) و يتحدث داود إلى نفسه فى صلوات الأجبية فيقول :
" توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ٠ لأن التراب فى القبر لا يسبح ، وليس فى الموتى من يذكر
وأيضاً أثناء صلاته ، يلتفت إلى نفسه ويقول لها :
و لو كان العمر ثابتا ، و هذا العالم مؤبداً ، لكان لك يا نفسى حجة واضحة ٠ لكـن إذا إنكشـفت أفعالـك الرديئة وشرورك القبيحة أمام الديان العادل ، فأى جواب تجيين ، وأنت على سرير الخطايا منطرحة ، وفى إخضاع الجسد متهاونة ؟!" هل نقول هنا أن المصلى يصلى إلى نفسه ؟ أهذا معقول؟! أم نقول إنـه فـى صلاته إلى الله ، يلتفت إلى نفسه و يخاطبها ، أمام الله ٠٠

✠ ✠ ✠

٢- وكما يخاطب نفسه أثناء صلاته ، كذلك يخاطب الملائكة :

فيقول فى (مز ١٠٣) " باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه ٠ اباركوا الرب يا جميع جنوده خدامه العاملين مرضاته " ٠

ولعله ايضاً كان يتجه إلى الملائكة حينما قال فى مزمور آخر : " أرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم ، و ارتفعى أيتها الأبواب الدهرية ، فيدخل ملك المجد ٠٠ " (مز ٢٤) ٠

فهل نقول أن داود كان يصلى إلى الملائكة ؟! كلا طبعا ٠ ولكنه كان يخاطبهم أثناء صلاته وأحيانا بروح النبوة ٠

✠ ✠ ✠

٣-بل إنه كان فى صلاته ، يتجه أحيانا إلى الشياطين أو الأشرار ويخاطبهم ٠

و هكذا نراه وهو يصلى فى المزمور السادس ، يتجه إليهم ويقول : أبعدوا عنى يا جميع فاعلى الفثم ٠ لأن الرب قد سمع صوت بكائى ٠ الرب سمع صوتى تضرعى ٠ الرب لصلاتى قبل " ٠

✠ ✠ ✠

٤-وداود أثناء صلاته يخاطب مجموعات كثيرة من الناس ٠

فنراه يقول فى مزمور آخر " سبحوا الرب أيها الفتيان ٠ سبحوا الرب ٠ ليكن اسم الرب مباركاً من الان وإلى الأبد ٠ من مشارق الشمس إلى مغاربها ، باركوا اسم الرب٠ " (مز ١١٣) ٠

وفى مزمور آخر يقول " قدموا للرب يا ابناء الله ن قدموا للرب أبناء الكباش ٠ قدموا للرب مجداً وكرامة قدموا للرب مجداً لإسمه ٠ اسجدوا للرب فى دار قدسه ٠٠" (مز ٢٩) ٠

ويقول فى (مز ٩٨) " سبحوا للرب تسبيحاً جديداً ٠٠ هللوا للرب يا كل الأرض ٠ سبحوا و هللوا ٠ رتلوا للرب بالقيثارة ، بالقيثارة وصوت المزمار ٠٠ هللوا امام الرب الملك " ٠

(و المزمور ١٠٠) كله بنفس هذا الأسلوب " هللوا للرب يا كل الأرض ٠٠ " و كذلك (مزمور ٤٧) كله " جميع الأمم صفقوا بأيديكم ٠٠" فهل داود كان يصلى على جميع الأمم ، وإلى كل الأرض ؟! أم كان وقت صلاته ، يتجه إليهم ، ويدعوهم إلى الصلاة معه ٠٠

✠ ✠ ✠

٥-و كان داود فى صلاته ، يتجه إلى أورشليم ويخاطبها :

فيقول فى (مز ١٤٧) " سبحى الرب يا اورشليم ، سبحى إلهك يا صهيون ٠ لأنه قوى مغاليق أبوابك ، بارك بنيك فيك ٠ وجعل تخومك فى سلام " ٠ ويقول لها فى (مز ٨٧) " أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله " فهل من المعقول أنه كان يصلى لأورشليم ؟!

✠ ✠ ✠

٦-إن كان الأمر هكذا ، و إن كان داود – بروح الله – قد اتجه إلى كل هؤلاء فى صلاته و خاطبهم ٠٠ ٠فلماذا لا نتجه نحن أيضاً فى صلاتنا إلى العذراء و نخاطبها طالبين شفاعتها ؟!

أيتها العذراء الطاهرة :

إننا نطوب العذراء فى بتوليتها ، وفى أمومتها ، وفى معونتها

لقد عاشت عذراء ، وولدت وهى عذراء ، استمرت عذراء بعد ولادتها للسيد المسيح ، لذلك تلقبها الكنيسة بلقب " دائمة البتولية " ٠ وهنا نناديها فى صلاتنا بعبارة " ايتها العذراء الطاهرة " ٠

إن مجرد كلمة (العذراء) بدون ذكر اسم ، تعنى العذراء مريم ٠ فهذا هو الإسم الذى اشتهرت به ٠ وهو الاسم الذى ذكره اشعياء النبى حينما قال " ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل " (اش ٧ : ١٤) ٠ و هذه الآية هى التى طمأن بها الملاك يوسف النجار (مت ١ : ٢٢ ، ٢٣)

و بهذا اللقب نناديها فى صلاة النوم " أيتها العذراء الطاهرة " ٠
دون أن نذكر اسمها ٠ ولكن مجرد عبارة " أيتها العذراء " تكفى ٠٠ إننا نحب العذراء من أعماق قلوبنا ، ونوقوها ٠ وما أكثر التسابيح التى باسمها ، وبخاصة فى الأبصلمودية الكيهكية ٠ وما و ما أكثر كنائسنا التى تبنى أيضاً باسمها ٠ وما اكثر ظهوراتها فى مصر ومعجزاتها ٠٠

أسبلى ظلك السريع المعونة :

و الظل يعنى الحماية ٠ كما نقول فى المزمور " الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير يبيت " (مز ٩١ : ١) ٠ وكما تقول عذراء النشيد عن الرب " تحت ظله اشتهيت أن أجلس " (نش ٢: ٣) ٠ وكما قال الأنبا بولس البسيط لمعلمه الأنبا انطونيوس " أعيش تحت ظل صلواتك " ٠
و هنا ظل سريع المعونة ٠ أى أن الشفاعة بها سريعة فى استجابتها ٠٠ و هذه نقطة إيمانية عملية ، نشعر بها فى حياتنا ٠

و عبارة " اسبلى ظلك " معناها أدخلينا تحت حمايتك ورعايتك وفى أى شئ نطلب الحماية ؟ يذكر المصلى هنا نقطتين :
أ-ابعدى أمواج الأفكار الردية عنى ٠
ب-أنهضى نفسى المريضة للصلاة و السهر ٠
إننا نطلب أن تبعد عنا الفكر الردئ سواء فى الصحو ، أو فى خيالات النوم إن نمنا ٠ وهنا يبدو إيماننا بقوة شفاعة العذراء فى حمايتنا من امواج الأفكار الردية ٠ ويساعدها على ذلك امران : أمومتها ، وقدرتها ٠

فإنك أم قادرة رحيمة :

إنها أم لنا جميعا ٠ إن كان السيد المسيح قال عن العذراء للقديس يوحنا الرسول الحبيب " هذه أمك " (يو ١٩ : ٢٧) ٠ وهذا القديس يقول لنا " يا أولادى " (١يو ٢ : ١) ٠ فبالتالى تكون العذراء أمنا ، مادامت أم أب لنا ٠٠ وبالتالى كانت هى الأم الروحية لجميع الرسل ٠
وهى أم المسيح بالجسد ٠ وهو أيضاً يقول لنا " يا أولادى " (يو ١٣ : ٣٣) و هكذا تكون هى أمنا ، لأنها أم أبينا " والدة ينبوع الحياة " ٠

إننا لا ننظر إلى العذراء فقط كقديسة عظيمة ، بل أيضاً كأم و ليست كأم عادية ، بل " أك قادرة رحيمة معينة " ٠
وبهذا نثق فى قدرة شفاعتها ، المبنية على حنان أمومتها ، وعلى منزلتها العظيمة عند ربنا يسوع المسيح ٠ وهكذا يقول المصلى عنها " والدة ينبوع الحياة ملكى و إلهى ، يسوع المسيح رجائى "
ومادام رجاؤنا هو يسوع المسيح ، فإننا نلجأ إلى أمه ، ذات الشفاعة المقبولة التى أول معجزة له فى قانا الجليل ، بشفاعتها " (يو ٢: ٣)

الفهرست

المقدمة ٥

تفسير مزامير :

مزمور من الأعماق صرخت إليك يا رب ٧

مزمور ها باركوا الرب ٢٣

مزمور سبحى الرب يا أورشليم ٣٧

تأملات فى صلوات قطع النوم :

١-هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل ٤٩

٢-توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ٦٥

٣-توبى يا نفسى انهضى من رقاد الكسل ٧٧

٤-أيتها العذراء الطاهرة ٨٧